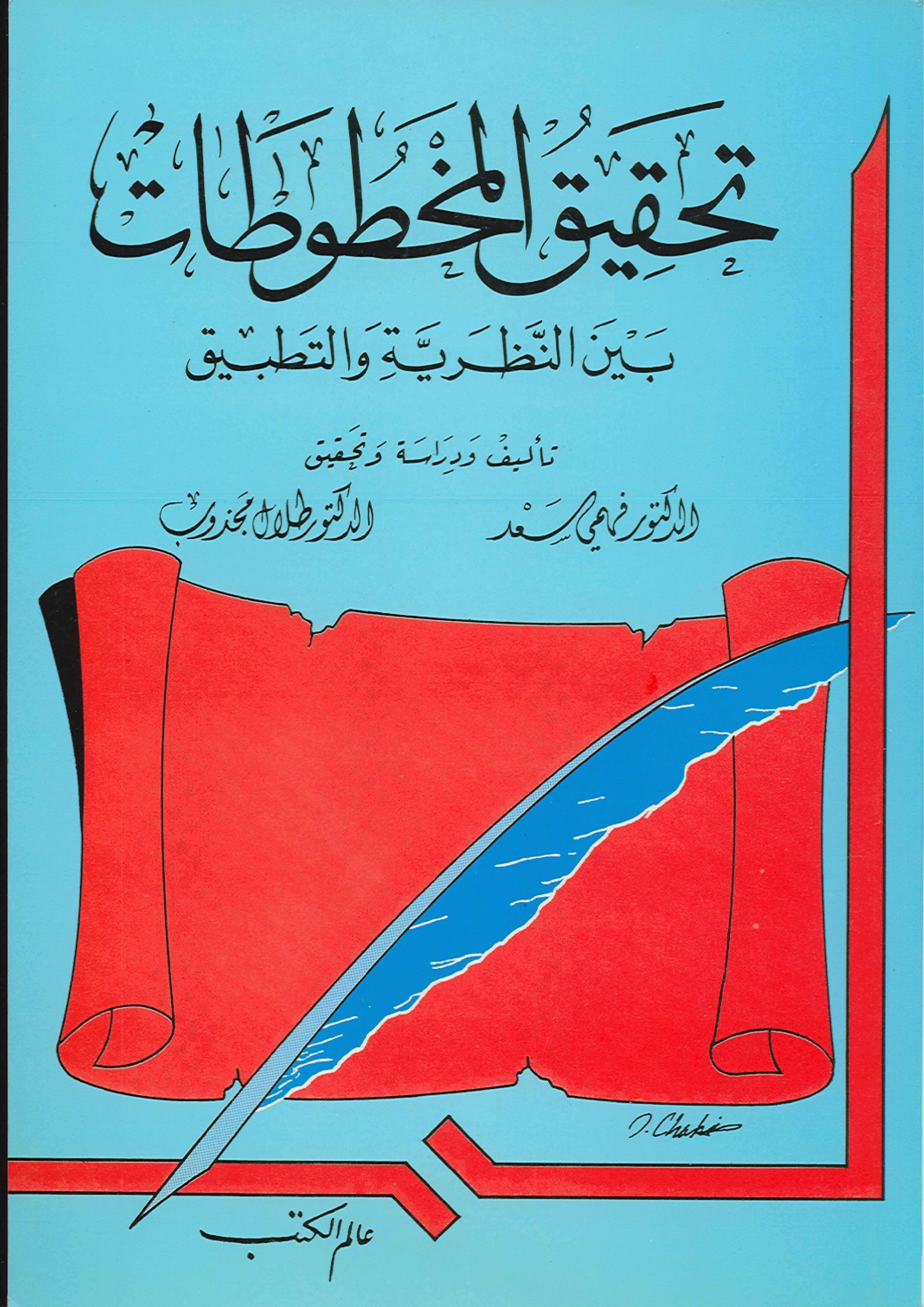

تحقيق المخطوطات
بين النظرية والتطبيق
تأليف ودراسة وتحقيق
الدكتور فهمي سعد
الدكتور طلال مجذوب
J. Chahi
عالم الكتب





بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣-١١
تلفون : ٣٠٦١٦٦-٣١٥١٤٢-٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠ ALAMKO

تحقيق المخطوطات

بين النظرية والتطبيق

مع

تحقيق ودراسة

الرسالة الأولى

لأبي دلف الخزرجي

تأليف ودراسة وتحقيق

الدكتور فهمي سعد

الدكتور طلال مجذوب

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تشكّل المخطوطات جزءاً هاماً من التراث الذي أبدعته الحضارة العربية والإسلامية في شتى حقوق المعرفة الإنسانية، من تاريخ وجغرافيا، وأدب، وفن وطب، وكيمياء وفلك، وسائر العلوم. وهذه المخطوطات بالعربية (وقليلها بالفارسية والتركية) ويترواح عددها ما بين ثلاثة إلى خمسة ملايين مخطوط، موزعة في مكتبات العالم العربي، وفي مكتبات العالم المختلفة في أوربا وأمريكا وبعض دول آسيا.

ظلت هذه المخطوطات، مثلها مثل سائر أنواع تراثنا، مهملة ومنسية، ولم يحقق منها إلّا النزر اليسير، والبعض منها أعيد تحقيقه وطبعه عدة مرات، إما لأهميته، وإما لسهولة رواجه بين الناس، وقد ساهم المستشرقون في أوربا وأمريكا بحصة كبيرة مما نشر من تلك المخطوطات.

وفي السنوات الأخيرة أخذت الجامعات والمراكز العلمية العربية تهتم بجمع المخطوطات وتحقيقها ونشرها، وقامت جامعة الدول العربية بإنشاء معهد المخطوطات العربية في القاهرة، الذي أرسل بعثة إلى شتى أنحاء العالم، قامت بتصوير آلاف المخطوطات العربية على مايكروفيلم،

وجمعت فهارس المخطوطات من مكتبات العالم، ووضعتها بين أيدي الباحثين.

واهتمت الجامعات العربية بتشجيع الباحثين لديها، على تحقيق مخطوطات تتعلق باختصاصهم كجزء من أطروحاتهم العلمية، فأجاز الحصول على درجة علمية عليا، كالماجستير أو الدكتوراه، من خلال تحقيق مخطوطة ما تحقيقاً علمياً، باعتبار أن تحقيق المخطوطة ونشرها، لا يقل أهمية عن كتابة بحث إبداعي جديد.

ولا شك أن هذه الظاهرة النبيلة جديرة بالتنويه والتقدير، لأن نشر المخطوطات، إنما هو إحياء للتراث، وبالتالي هو التفاتة واعية للماضي وفهمه، من أجل بناء مستقبل سليم، وإن أساء إلى هذه الظاهرة قيام بعض الناشرين الطامعين بالكسب المادي المضمون بطبع المخطوطات ونشرها دون تحقيقها بشكل علمي، تماماً مثلما التاجر ينشر بضاعته لضمان رواجها!

وإذا كان المستشرقون قد بدأوا، منذ أوائل القرن التاسع عشر، بوضع القواعد العلمية لتحقيق النصوص ونشرها، وجعلوا منها علماً له منهجيته، وطبقوا ذلك على كثير من المخطوطات العربية التي قاموا بنشرها، فإن هذا لا يعني أن علماءنا في الماضي، لم تكن لديهم قواعد لتحقيق

المخطوطات من حيث المقابلة بين النسخ، واختيار أوثقها، ووضع رمز لكل نسخة، وكذلك اهتموا بضبط النصوص وتوثيقها.

وقد رأى العرب أنهم بحاجة إلى هذا العلم بعدما قلّ الاعتماد على الرواية الشفوية، وبعد أن تم القبول بتدوين العلم واعتماده.

ورغم محظورات الرواية الكتابية، التي ربما يعود أصلها إلى مواريث نفسية، بقيت من آثار الاعتماد الكلي على الرواية الشفوية، إلّا أن انتشار الورق وكثرة أنواع المداد والأقلام، ساهم إلى حدّ بعيد، في تثبيت أهمية العلم المكتوب، وجعله مقبولاً على امتداد الأيام. ومع ذلك، بقيت للرواية الشفوية أهميتها، فوضع العرب لتوثيقها القواعد، ولعل أهم تلك القواعد:

١ ـ السماع، ويعبر عنه متلقي العلم عادة، بإحدى الطرق التالية: أملى علي فلان، وسمعت فلاناً، أو سمعت من فلان، وحدثني فلان، أو حدثنا فلان، وأخبرني أو أخبرنا فلان، وقال لي فلان، وفي الشعر يقال: أنشدني أو أنشدنا فلان.

٢ ـ القراءة على الشيخ: وذلك بأن يقرأ المتلقي على شيخه (أستاذه) من كتاب أو أن يلقي من ذاكرته على الشيخ، ويقول التلميذ عندها: قرأت على فلان.

٣ ـ السماع على الشيخ بقراءة غيره: ويقول المتلقي عندها: قرىء على فلان وأنا أسمع.

٤ ـ الإجازة: وهي أن يعطي الشيخ إجازة لآخر، بأن يروي نصاً محدداً، أو أن يعطيه إجازة أو تصريحاً برواية كتب غير محددة كأن يقول له: أجزتك رواية كل ما أرويه.

٥ ـ المناولة، وهي أن يعطي الشيخُ تلميذه أصل كتابه أو نسخة منه، ويجيز له روايته، ويقول المتلقي بهذا الطريق: حدثني فلان مناولة.

٦ ـ الكتابة أو المكاتبة: وهي أن يُعد الشيخ لتلميذه كتاباً من تأليفه أو مروياته ويرسله إليه، ويقول التلميذ عندها: كتب إليّ فلان، أو بعث إلي.

٧ ـ الوجادة: وتعني النقل عن أحد الكتب، فيقول الراوي عند ذلك: وجدت في كتاب فلان.

هذه هي أهم طرق تلقي العلم، كما ضبطها العلماء، القاضي عياض (الإلماع ص ٦٨ ـ ١٢١)، وابن الصلاح (مقدمة ص ٢٤٥ ـ ٢٩٥)، وابن حجر (شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ص ٣٤ ـ ٣٥)، والسيوطي (المزهر ١/ ١٤٤ ـ ١٧٠).

على أن الوجادة كانت منطلق التحقيق عند المتقدمين، ولذلك قال القاضي عياض: «والذي استمر عليه عمل الأشياخ

قديماً وحديثاً في هذا قولهم: وجدت بخط فلان، وقرأت في كتاب فلان بخطه»[1].

ولما كان المخطوط يعتبر من المصادر الهامة للتراث، لذا فإن تحقيق المخطوطات ضمن منهجية صحيحة وقواعد متفق عليها يؤدي خدمة جلّى للثقافة، أو إعادة دراستها بشكل موضوعي.

وفي لبنان، تكتسب القضية أهمية خاصة، إذ أننا معنيون بهذا الموضوع من ناحيتين:

الأولى: عراقة العمل العلمي والتقني عبر المؤسسات التعليمية والعلمية الشامخة التي قامت منذ القرن التاسع عشر، والتي قدمت للعرب الكفاءات العلمية والفكرية؛ أو عبر مؤسسات النشر العريقة التي طالما قدمت العمل الأفضل، بروح تتميز باحترام الفكر.

والثانية: عملية تعريب العلوم التي كان العرب قد نفّذوها بنجاح في السابق، ومن ثم تمكنوا من أن يبرعوا فيها، وأن يعيدوا نشر العلم في العالم، وهو الأمر الذي لا مراء فيه.

إن ما يجري اليوم، من محاولة بناء نظام عالمي جديد، كما يقال، دون دور عربي ملحوظ، يحملنا على

---

(١) الإلماع، ١١٧.

التوقف إزاء ما يدور في العالم، ويحزّ في نفوسنا غياب الدور العربي، واللبناني بخاصة، ونغتنمها فرصة لنقترح ما يمكن القيام به ضمن النشاط اليومي لمؤسسات التعليم العالي الحالية.

وبرأينا، فإن من متطلبات نجاح الأمة واستمرارها، العمل على إحياء التراث القديم، وتمثل الجديد، لتتمكن من أن تدّعي بحق أنها أمة متحضرة.

ولذا فإننا نؤمن بأنه يجب على نظم الدراسات العليا، من الماجستير والدكتوراه، أن تتضمن في برامجها:

١ - إعداد رسائل في الدراسات العليا في العلوم التطبيقية والنظرية والعلوم الإنسانية، في ترجمة موضوع علمي رصين، أو بحث متفرد في مجالات العلوم الإنسانية(١).

٢ - إعادة العمل بمنح شهادة الدكتوراه لقاء تحقيق عمل تراثي مهم، مرفقاً بدراسة شاملة تتناول أهمية المخطوط في موضوعه ومبناه وتوجهاته وأغراضه.

وبعد خبرة لا بأس بها في التعليم الجامعي، وفي

---

(١) بعد إعداد هذه المقدمة، عقدت في القاهرة، في أواخر نيسان (إبريل) ١٩٩٢ حلقة لدراسة تعريب التكنولوجيا، وقد تسنى لنا الاجتماع إلى أحد المشاركين، وهو أميركي من أصل لبناني.

التأريخ والتوثيق وتحقيق المخطوطات، ونظراً لتزايد أعداد الراغبين بتحقيق المخطوطات، دون أن يكون لدى بعضهم الثقافة العلمية الكافية، فقد قمنا بإعداد هذا الكتاب بأسلوب علمي مبسط، وجعلناه في قسمين:

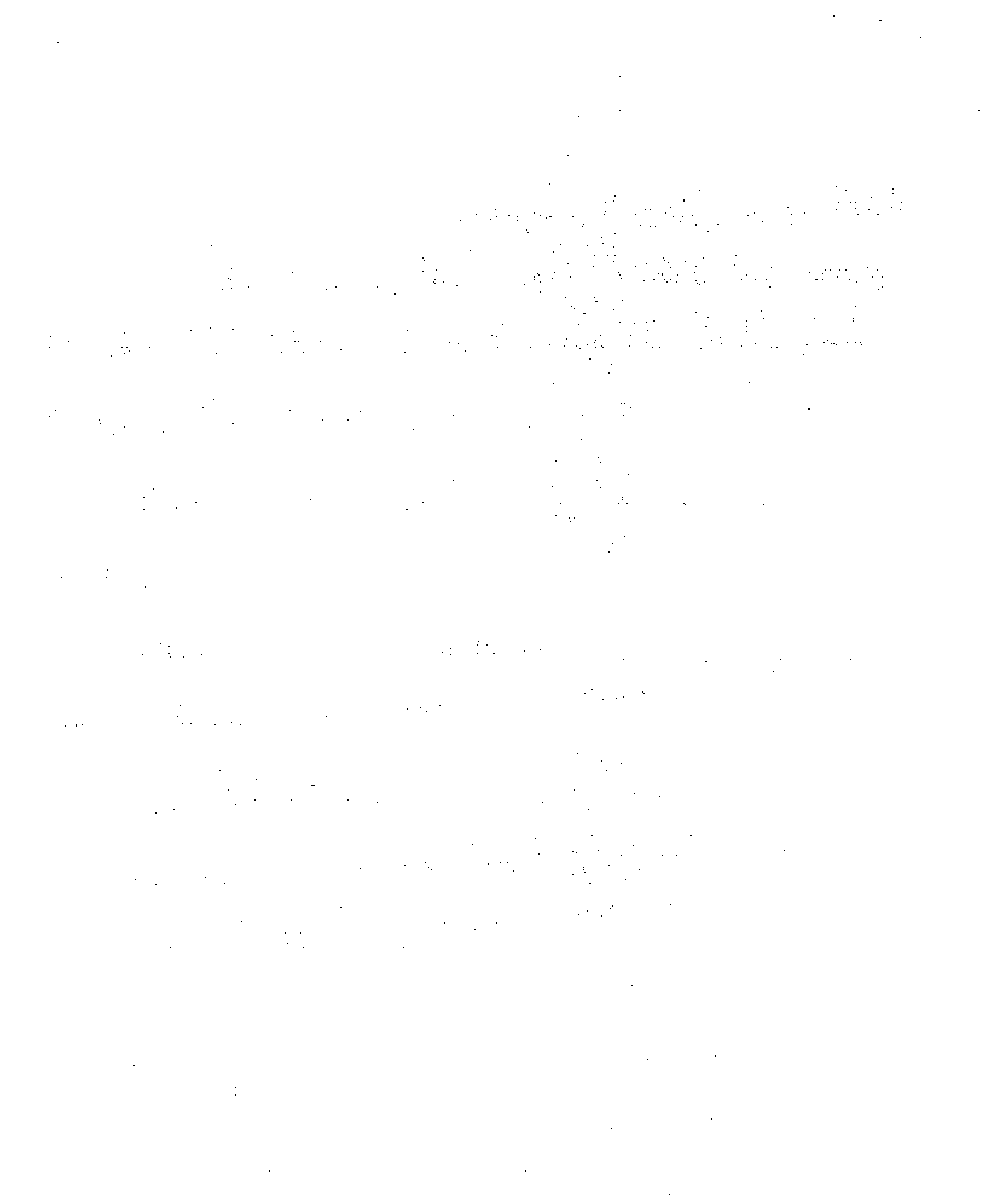
الأول: عرضنا فيه أهم القواعد المنهجية لتحقيق المخطوطات.

والثاني: حققنا فيه مخطوطة صغيرة كنموذج تطبيقي لمنهجية تحقيق المخطوطات.

وفي الختام نأمل أن يكون في هذا الكتاب فائدة للباحثين في أداء مهمتهم النبيلة في إحياء المخطوطات العربية ونشرها بين الناس جميعاً.

صيدا

كانون الثاني / يناير ١٩٩٣ **المؤلفان**



الفصل الاول
مبادىء اساسية

أ ـ المخطوط :

هو كتاب لم يتم طبعه بعدُ، أي أنه ما زال بخط المؤلف أو بخط ناسخ غيره، أو أُخذت عنه صور فوتوغرافية أو أن يكون مصوراً بالمايكروفيلم عن مخطوط أصلي.

ويتضمن المخطوط عادة، صفحة العنوان، وهي بمثابة الواجهة أو الغلاف في الكتاب المطبوع. إذ لم يكن العرب في أول عهدهم بصناعة الكتاب، يعرفون صفحة العنوان، بل كان ذكره يرد في مقدمة الكتاب أو نهايته، وكانت الصفحة الأولى منه تترك بيضاء[1]. وكثيراً ما كان متملكو نسخة المخطوط يعملون على كتابة العنوان على تلك الورقة البيضاء. وقد يرافق ذلك أخطاء في ضبط العنوان، وربما أضاف مالكو النسخة بعض الملاحظات الخاصة التي

(١) ميري عبود فقوجي، فهرسة المخطوط العربي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠.

قد تتصل بمواضيع ثقافية، أو أخرى تتناول الحياة الشخصية لمالكها، من حسابات تجارية، أو بعض السوانح الشعرية أو الحكم والأمثال.

وقد نجد اسم المخطوط في نهاية الكتاب، إذ يشير المؤلف أو الناسخ عند نهاية عمله إلى تمام كتابه، ذاكراً اسمه وتاريخ نسخه.

ولضبط عنوان المخطوط، سواء ورد على الورقة البيضاء أو في مقدمة المؤلف أو متلقي الكتاب وسامعه، أو بنهايته، يجب الرجوع إلى كتب المصادر وفهارس المكتبات، مثل فهرست كتب النديم، أو كشف الظنون وذيله، أو تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، أو تاريخ التراث العربي ،لفؤاد سزكين، أو غيرها من كتب التراجم والطبقات.

والتأكد من نسبة المخطوط للمؤلف أمر ضروري، فعلم توثيق المخطوطات لا يزال علماً حديثاً في عالمنا العربي، كما أن بعض الموثقين قد يكونون على عجلة من أمرهم فيقعون ببعض الأخطاء؛ وهذا ما لاحظناه بعدما قمنا بطلب مخطوطين من معهد المخطوطات العربية، واحدهما فهرس على أنه «السيرة النبوية» لابن إسحاق، والآخر على أنه «أمثال» الزمخشري[1]؛ ولكن، وبعد الاطلاع على

---

(١) لا بد لنا من الإشارة إلى أن المخطوطين، لم يكن قد أعيد تصنيفهما مجدداً في معهد المخطوطات العربية.

المخطوط الأول، تبين لنا أنه كتاب «المغازي» من «صحيح البخاري»؛ أما المخطوط الثاني، فكان «أمثال» حمزة الأصفهاني على صيغة «أفعل»، وقد قمنا بتحقيقه بالعنوان الذي ورد على غلافه. وأضفنا إليه اسمه المشهور به[1].

ومما تجدر ملاحظته، أن للمخطوط العربي أكثر من عنوان، وهو حسبما يتراءى لمؤلفه؛ وبالعكس من ذلك، فإننا نلاحظ وجود عناوين كثيرة واحدة تعود لمؤلفين مختلفين.

أما في حالة عدم العثور على العنوان، إما لفقدان الصفحة الأولى أو الأخيرة (الخاتمة)، وإما لتجاهل الناسخ أو نسيانه ذكر عنوان المخطوط، فيجب على المحقق قراءة جزء يطول أو يقصر، ولسوف يهتدي بعدها إلى موضوعه، ثم يعود إلى المراجع التي تذكر أسماء المؤلفات في هذا الباب، فإن ذلك يساعده في الاستدلال على المؤلف ومخطوطه.

ومن الأمثلة العملية وقوع مخطوط بين أيدينا صُنّف في فهارس مصورات معهد المخطوطات العربية على أنه «مخطوط في التاريخ»، سقط من أوله بضع ورقات؛ ولدى اطلاعنا عليه، تبين أنه يتألف من قسمين: الأول، وهو ما يوازي ثلثي المخطوط تقريباً، ويبحث في السيرة النبوية

---

(١) سوائر الأمثال على أفعل، حققه فهمي سعد، ونشره عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨.

الشريفة، والقسم الثاني منه، يبحث في التاريخ الإسلامي حتى سنة ٦٥٦هـ.

ولكشف حقيقة هذا المخطوط، عدنا إلى مؤلَّفَيْن متأخريْن في السيرة النبوية؛ أولهما كان «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني، وكان الشرح يتضمن اقتباسات واضحة من «الإشارة إلى سيرة المصطفى» لعلاء الدين مغلطاي، وكذلك الأمر في «تاريخ الخميس» للديار بكري. عندئذٍ، عدنا إلى كتاب «العقد الثمين» للفاسي المكي، وهو يتحدث عن أعلام المدينة المنورة، فوجدناه يختصر في قسمه الأول «سيرة المصطفى» لمغلطاي، ويصرّح بذلك علانية. ورأينا تماثلاً كبيراً بين المخطوط والمطبوع. وهكذا تكشف لدينا عنوان المخطوط ومؤلفه.

وقد يكون **اسم المؤلف** قد سقط من العنوان الخارجي أو الخاتمة؛ عندها يجب العودة إلى المراجع التي تدرس المؤلفات العربية. ثم علينا مراجعة مقدمة المؤلف، أو المتن، حيث يرد اسم المؤلف غالباً بعد فعل القول، وقد يستخدم لقبه أو كنيته. سواء أكان المخطوط بخط المؤلف أو بالرواية عنه أو بالسماع من المؤلف أو من غيره.

ومن أجل استكمال هذا العمل، لا بد من توثيق اسم المؤلف، وحياته، والبحث عن تاريخ ميلاده ووفاته؛ التي جرت عادة المؤرخين على كتابتها، ويمكن العودة إلى

المصادر أو كتب التراجم والطبقات التي تهتم عادةً بإثبات ذلك، علماً أن تاريخ الولادة كثيراً ما يجهله المؤلفون.

وقد لفتنا كتاب «تاريخ الخلفاء»، الذي كتب محقّقه اسم مؤلفه محمد بن يزيد[1]، ويبدو أنه قد غاب عن المحقق أن هذا الكتاب لابن ماجة القزويني (المتوفى ٢٧٣هـ)، وهو صاحب السنن الشهيرة، ثم عاد وأثبته في مقدمته، فيما كان يجب أن يضعه في صفحة العنوان، لأنه الاسم الذي اشتهر به المؤلف.

وفي حال عدم العثور على ترجمة للمؤلف في أحد كتب التراجم والطبقات، فإنه يمكننا معرفة التاريخ الذي عاش قبله بعد معرفتنا لتاريخ النسخ (إذا كانت النسخة هي الأقدم). ويمكن معرفة الفترة الزمنية التي عاش فيها المؤلف من ثنايا المعلومات التي ينقلها، أو من خلال مصادره التي استقى منها. وربما ذكر أسماء مدن قريبة الإنشاء من عهده، أو ربما ذكر أسماء أهم شيوخه أو تلامذته.

وتحقيق المخطوط يقصد به بذل عناية خاصة به حتى يصحّ عنوانه، واسم مؤلفه، ويثبت نسبة الكتاب إليه، ويكون متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه[2].

---

(١) نشرته مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط٢، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٩٦٥، ص ٣٩.

ويرى البعض أن التحقيق العلمي للمخطوط يعني أن يظهر هذا المخطوط كما وضعه مؤلفه قدر الإمكان، إذ ليس من واجب المحقق أن يحسّن من أسلوب المؤلف، إذا ما كان مُسِفّاً، ولا أن يحل كلمة بدل أخرى، بدعوى أنها أصحّ منها، أو أوفق في مكانها، ولا أن يصحّح خطأ نحوياً ارتكبه المؤلف، ولا يشرح فيما رغب المؤلف أصلاً في إيجازه[1].

وإذا كان مؤلف المخطوط قد راعى قواعد الخط والإملاء التي كانت شائعة في عصره، فليس مطلوباً من المحقق مراعاتها، لأن الغاية من تحقيق المخطوط ونشره إحياؤه ليفيد منه القارىء المعاصر[2].

أما التحقيق لغةً، فهو التصديق، وإثبات الحق، وإحكام الشيء، وصحته، وإن كان أسلافنا لم يستعملوا هذه الكلمة بالذات للدلالة عليه، بل استعملوا بدلاً منها كلمة «التحرير»، فقالوا: إن تحرير الكتاب خلوصه وتقويمه؛ وحقَّ الأمر: صار حقاً وثبت، وأحققت الأمر إحقاقاً: أحكمته وصححته[3].

---

(١) منهج تحقيق المخطوطات، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، ١٩٨٨، ص ٧.

(٢) أحمد محمد الخراط، محاضرات في تحقيق النصوص، جدة، المنارة، ١٩٨٤، ص ٨.

(٣) انظر: «صحاح» الجوهري، و«قاموس» الفيروز آبادي و«لسان العرب»: «حرر»، «حقق».

واختلف المختصون بتحديد ما هو المقصود من التحقيق، إذ اعتبره بعضهم أنه لا يزيد عن ضبط النص، بينما زاد عليه آخرون توضيح الغوامض، وتخريج النصوص من مصادرها، ووضع الفهارس، وتنقيح الكتاب حتى يخرج من المطبعة إلى القارىء بحلّته الجديدة.

وقد أضاف آخرون إلى ذلك، قيام المحقق بتوزيع فقرات المخطوط، إن لم يكن له فقرات، وتفصيل أبوابه، وترقيم صفحاته، إن خلا من ذلك، وشرح الغامض من عباراته، وإلحاقه بالفهارس المنظمة. فالتحقيق هو بإيجاز، في إحياء الكتاب المخطوط، وقديماً قيل: تأليف كتاب أهون من إصلاحه[1].

ويكتسب تحقيق المخطوطات، خصوصاً في مادة التاريخ، أهمية كبرى، لأن المخطوط يحتوي عادة على مادة أصيلة تصلح للبحث التاريخي. ويقوم تحقيق النص التاريخي القديم مقام التأليف التاريخي نفسه، بل يعتبر أهم منه، لأن النص هو الأساس الذي يُبنى عليه التاريخ، ولأن التاريخ نفسه عمليةُ تحقيق وتدقيق، ونقد وفحص، ضمن قواعد معينة تم الاتفاق عليها[2].

---

(١) منهج تحقيق المخطوطات: ٨.

(٢) عبد المنعم ماجد، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٥٣.

ومن هنا فإنه لا يصح أن يكون المخطوط صالحاً للحصول على درجة علمية عليا ما لم تتوفر فيه شروط أربعة هي:

١ ـ أن لا يكون محققاً من قبل (لم يحقق أصلاً أو لم يتم تحقيقه علمياً).

٢ ـ أن تكون مادته العلمية مما يستحق التحقيق ومن ثم النشر فيما بعد.

٣ ـ أن يكون حجمه مناسباً، بحيث يكون نصّ المخطوط مع شروحه وتذييلاته، مما يسهل على القارىء مطالعته[1].

٤ ـ أن يكون له أكثر من نسخة، حتى يمكن إجراء المقابلة بينها.

ب ـ صفات المحقق:

لا يستطيع أحد أن يكون محققاً جيداً، ما لم تتوفر فيه بعض الصفات الخلقية والفكرية التي يمكن أن يكون من أهمها ما يلي:

---

(١) عبد الرحمن عميرة، أضواء على البحث والمصادر، دار الجيل، بيروت، ط ٤، ١٩٨٦، ص ٢٩.

١ ـ الرغبة بالتحقيق، ومحبة موضوع المخطوط:

لأن ذلك يجعل الباحث يقبل على تحقيق المخطوط بكل محبة ورغبة، فتسهل عليه الصعاب التي تواجهه، ويهون عليه السهر والتعب، سعياً وراء تفسير كلمة، أو تدقيق جملة[1].

٢ ـ دقة الملاحظة والخبرة:

لا شك أن تحقيق مخطوط تحقيقاً جاداً أصعب من تأليفه، ولذا فإن المحقق يحتاج إلى ملاحظة دقيقة في معرفة التصحيف والتحريف، وفي تصحيح الأخطاء. كما أنه بحاجة إلى خبرة واسعة بأسماء رجال العصر وواقع الحياة في العصر الذي كتب فيه المخطوط، وكذلك بتاريخ الخط، وظروف كتابة المخطوط إذا أمكن.

٣ ـ الصبر والأناة وسعة الصدر:

إن المخطوطات، بسبب قِدم عهدها، وتداولها بين أيدي ملّاك كثيرين، وتناوب أكثر من ناسخ عليها، قد تكون غالباً، مطموسة في بعض كلماتها وجملها، أو مهترئة ممزقة في بعض أوراقها، أو ناقصة في أولها أو آخرها، أو فقد بعض صفحاتها.

وكل هذا يتطلب من المحقق، وهو ينوي أن يبعث

---

(١) منهج تحقيق المخطوطات، ص ١٢.

الحياة في المخطوط شكلاً ومضموناً، التحلي بالصبر والجلد وسعة الصدر، وهو يحاول أن يجد الكلمات الضائعة، أو يسعى لتفسير عبارة مغلقة، لا يجد لها أثراً في المراجع التي يلجأ إليها، وقد يمضي وراء ذلك أياماً طويلة حتى يصل إلى مبتغاه أو قريباً منه[1].

ومن مستلزمات الصبر أيضاً الأناة وطول النَّفَس، لأن العجلة تورث السهو والخطأ، والتحقيق بحاجة إلى تدقيق وإعادة التدقيق، والمقارنة والمقابلة، حتى يشعر المحقق أنه وصل إلى الكمال، أو ما هو أقرب إلى الكمال[2].

٤ ـ الأمانة:

تقتضي الأمانة في التحقيق، أن لا يبدل المحقق في نصّ المخطوط، أو يعدّل فيه، أو يزيد أو ينقص من متنه، بقصد التصحيح أو التحسين، لأن نص المخطوط أمانة بين يديه أوصلها القدر اليه في غيبة مؤلفه، ولذلك عليه أن يحافظ على هذه الوديعة لأن متن الكتاب أو المخطوط حكم على المؤلف وعلى عصره وبيئته، وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها وقدسيتها[3].

---

(١) أحمد محمد الخراط، ص ٢٠.

(٢) منهج تحقيق المخطوطات، ص ١٧.

(٣) محمد عبد السلام هارون، ص ٤٤.

والأمانة واجبة، لأن المؤلف وحده له الحق في تبديل أو تفسير مؤلَّفه، وهو ان مضى عن هذه الدنيا، فقد ترك مخطوطه أمانة في أعناق الأجيال، وهو لا يرضى بأن يبدل أحد في خلاصة فكره. وفي جميع الأحوال، إذا ما استدعى الأمر أن يقوم المحقق بتعديل أو زيادة في النص، عليه أن يشير إلى ذلك، ليتميز عمله عن عمل المؤلف الأصلي[1].

٥ ـ الدراية بفن التحقيق:

لا يجوز للباحث أن يشرع في تحقيق مخطوط ما، ما لم يكن على دراية بفن تحقيق المخطوطات ومنهجيته، كي يضمن انجاز تحقيق جيد لا شائبة فيه، وكذلك يختصر الوقت والجهد، إذا ما التزم بتلك القواعد والأصول[2].

٦ ـ ثقافة المحقق:

من الضروري أن يكون المحقق على درجة عالية من الثقافة، فقد أثبتت التجارب أن المتخصصين في الدراسات الإسلامية أو العربية أو التاريخية، هم أقدر الناس على تحقيق المخطوطات، فلا بدّ للمحقق من أن يكون ملماً بكل جوانب الثقافة الإسلامية.

---

(١) أحمد محمد الخراط، ص ٢٠.

(٢) صلاح الدين المنجد، قواعد المخطوطات، ط ٤، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠، ص ١١.

ومن الضروري للمؤرخ أن يفيد من مخطوطه ومن حياة مؤلفه. فالمخطوط يرتبط عادة بثقافة العصر. ويساعد المحقّق في ذلك أمور أهمها معرفة شيوخ المؤلف، وهذا يفيده في تمثل روح النص الموجود بين يديه. ذلك أن معرفة شيوخ المؤلف مفصل هام في مكونات العصر الثقافية. فكثير من الشيوخ (الأساتذة) تركوا آثارهم في ثقافة طلابهم، علماً بأن هؤلاء الطلاب قد لا يكونون قد اعتنقوا المذهب الديني أو الثقافي لأساتذتهم.

جـ - تحرّي المخطوطات وجمعها:

حتى يكون المخطوط صالحاً للتحقيق يجب أن يوجد له أكثر من نسخة، ويصعب تحقيق مخطوط له نسخة واحدة فقط، إلّا في حالة عدم العثور إطّلاقاً على نسخ أخرى له، أو لا يُعرف بوجود نسخ أخرى له.

ويجب البحث والتنقيب عن نسخ المخطوط المتناثرة في مكتبات مختلفة في أنحاء العالم، ويساعد في ذلك مراجعة فهارس المخطوطات العربية للمكتبات المختلفة. وبعد ذلك لا بدّ للباحث من دراسة تلك النسخ دراسة أولية، ومن ثم اختيار النسخ التي يحتاج إليها، وتصويرها لتكون تلك النسخ مطابقة للأصل(١).

---

(١) صلاح الدين المنجد، ص ١٢.

ولا شك أن الإطلاع على جميع النسخ، إذا توفر ذلك للباحث، فيه فائدة كبرى للتحقيق، لأن النسخ، عادة، تتفاوت قيمتها حسب بعدها أو قربها من زمان المؤلف، أو بكمالها ونقصها، بالإضافة إلى أنها تكتب بأيدي نساخ متعددين، في أزمنة متباعدة، والمقابلة بين النسخ توصل الباحث إلى أفضلها وأكملها[1].

وقد لا يستطيع الباحث أن يعثر على جميع المخطوطات التي تخص كتاباً واحداً، لأنه مهما جمع من تلك النسخ، لا بد أن يأتي بعده من يستطيع أن ينبش نسخة جديدة لم يكن أحد يعرف بها. ولذا على الباحث بعد اقتناعه بأنه جمع ما أمكنه من نسخ المخطوطة، أن يشرع، دون إضاعة وقت، في التحقيق[2].

د ـ ترتيب النسخ وتقييمها:

إن مرحلة جمع نسخ المخطوط، تعني الحصول على مادة العمل الأولية، أما مرحلة ترتيب النسخ، فهي استثمار هذه المادة وتوجيهها، للحصول على نص المؤلف الأول، أو أقرب ما يكون منه، لإجراء التحقيق المقصود، ويجري

---

(١) أحد محمد الخراط، ص ٢١.

(٢) عبد السلام هارون، ص ٣٦.

العمل على ترتيب النسخ حسب أهميتها بعد فحصها فحصاً علمياً دقيقاً[1].

ولتقييم النُّسخ، من أجل ترتيبها، يدرس المحقق نوع ورق كل نسخة ليتمكن من تحقيق عمرها، ولا يعتمد كثيراً على ما سجّل عليها من تواريخ فقد تكون مزيفة. ويقوم أيضاً بدراسة المواد ليعرف قرب عهد المخطوط من عهده، وكذلك الخط، لأن لكل عصر نظام كتابته وخطوطه، ولا بأس من الاستعانة بخبير بالخطوط إذا اقتضى الأمر.

لكننا اليوم، لا نستعمل جميعاً مخطوطات أصلية، نظراً لسهولة التصوير الشمسي، وهذا ما أدى أحياناً إلى عدم معرفتنا بنوع الورق أو حالته أو نوع المداد، والإصطلاحات التي تمت فيها.

ويفحص المحقق ما على النسخة من قراءات لبعض العلماء وإجازات، وكذلك ما عليها من تعليقات، وينظر إلى أبواب المخطوط وأجزائه ليستوثق من كمال النسخة وصحة ترتيبها، وكثير من المخطوطات القديمة يلتزم نظام «التعقيبة»، وهي الكلمة التي تكتب في أسفل الصفحة اليمنى غالباً لتدل على بدء الصفحة التي تليها، وبتتبع هذه

---

(١) أحمد الخراط، ص ٢٩.

التعقيبات يمكن الاطمئنان إلى تسلسل صفحات المخطوطات[1].

وينظر المحقق في خاتمة المخطوط لعله يتبين اسم الناسخ وتاريخ النسخ وتسلسل النسخة. وللتأكد أيضاً من نسبة المخطوط إلى المؤلف نفسه إذا لم تكن هناك إشارة مباشرة إلى ذلك، يمكن مقارنة خط المؤلف بخطه في نسخة أخرى ثبتت نسبتها إليه[2].

ووجود الورقة الأولى والورقة الأخيرة في المخطوط يساعد في تقييم النسخة وتعيين مرتبتها، فالنسخة التي كتبها المؤلف بنفسه تبدأ عادة بقوله: «العبد الفقير إلى ربه...» أما التي قام بنسخها أحد النساخ فتبدأ بالقول: «قال الإمام الجليل العلامة فريد عصره ووحيد دهره...».

والورقة الأخيرة يختمها المؤلف عادة بقوله: «كتبها العبد الفقير إلى ربه» ويذكر اسمه الصريح واسم أبيه وسنة التأليف، أما التي كتبها الناسخ فيقول في ختامها: «وتم نسخ الكتاب على يدي فلان الناسخ في سنة كذا»[3].

بعد تلك القراءة المتأنية لنسخ المخطوط، يبدأ

---

(١) عبد السلام هارون، ص ٣٨.

(٢) انظر الفقرة (أ) من هذا الفصل.

(٣) أحمد محمد الخراط، ص ٣٠.

المحقق بترتيبها حسب أهميتها، وتكون النسخة التي كتبها المؤلف بخط يده، وتأكدت نسبتها إليه، هي النسخة التي تتمتع بالرتبة الأولى بين النسخ، وتسمى النسخة الأم.

وتحتل الرتبة الثانية النسخة التي قرأها المؤلف، أو قرئت عليه وأمر بإجازتها. ثم تأتي في الرتبة الثالثة النسخة التي نقلت عن نسخة المؤلف، وكتبت في عصره، وعليها سماعات من العلماء، ثم تأتي بعد ذلك النسخ التي كتبت بعد عصر المؤلف، الأقدم فالقديم، وتأخذ المراتب الرابعة والخامسة وهكذا[١].

ويرمز لكل نسخة من نسخ المخطوط بحرف يؤخذ من اسم صاحبه، أو من اسم المكتبة الموجودة فيها، أو من اسم البلد الذي فيه المكتبة. ويرمز إلى النسخ المتشابهة. بحرفٍ من حروف الأبجدية (أ ـ ب ـ ج ـ د. . .) فتكون نسخة أو أكثر من فئة «أ»، ونسخة أو أكثر من فئة «ب» وهكذا[٢].

ولا بد من الإشارة إلى أن القِدم ليس هو الحكم الفصل في تصنيف النسخ، بل يؤخذ في الاعتبار خلو النسخة من التصحيف والتحريف، ودقة ضبطها، وهذا ما يجعل أحياناً نسخة متأخرة تفضل نسخة متقدمة، لأن ناسخ

---

(١) عبد الرحمن عميرة، ص ٦٥.
(٢) صلاح الدين المنجد، ص ٢٣.

المخطوط القديم، قد يكون مغموراً أو ضعيفاً، فتكثر سقطاته، بينما قد يكون ناسخ المخطوط الأحدث تاريخاً، عالماً دقيقاً، يظهر ذلك في حرصه، وفي إشاراته إلى الأصل، وقلة سقطه، فيكون ذلك أدعى إلى اعتماد نسخته أكثر من غيرها[1].

وهناك أصول قديمة ضمَّنها بعض المؤلفين كتبهم، وهذه لا تعتبر نصوصاً أصلية، وإنما يستعان بها لتحقيق النص. كما أن النسخ المطبوعة التي فقدت أصولها يعتبرها بعض المحققين أصولاً ثانوية في التحقيق. أما المصورات من النسخ فهي بمنزلة أصلها، شرط وضوحها، فمصورة النسخة الأولى هي نسخة أولى، ومصورة الثانية هي نسخة ثانية وهكذا دواليك[2].

(١) عبد السلام هارون، ص ٣٥.
(٢) المرجع نفسه، ص ٣٠.

الفصل الثاني

مراحل التحقيق

بعد أن قام المحقق ببذل الجهد في سبيل جمع نسخ المخطوط المختلفة، مهما بعُدت مخابئها، أو عسُر الوصول إليها، وبعد أن قام بمقابلتها ببعضها، وبتفحصها، واستقر رأيه على مرتبة كل منها، عند ذلك تبدأ المرحلة الثانية الشاقة من عمله، وهي مرحلة التحقيق، حيث يجب أن تسود الجدية والموضوعية، والعمل المتأني الدؤوب، لتكون الثمرة حلوة يستسيغها الطاعمون.

أ ـ تقطيع النص وتوزيع فقراته:

الغاية من التحقيق، كما أشرنا سابقاً، هي بعث نص قديم مفيد وإحياؤه ليستفيد منه أكبر عدد من الناس، أي عرض الكتاب كما أراده مؤلفه، ثم خدمة نصّه بشرح غامضه والتعريف به وفهرسته[٢].

---

(١) أحمد محمد الخراط، ص ٤٠.

ولما لم يكن من غاية التحقيق تحسين أسلوب المؤلف وتصحيح أخطائه، فلا بد للمحقق من أن يتقيد بالنص الذي وجد عليه المخطوط، ولكن إذا وجد أن هذا النص غير مرتب، فيمكنه، وهو يسعى إلى تقديمه إلى القارىء العصري، أن يهذبه بتقطيعه، وتقسيمه إلى أبواب وفصول، وكذلك بتوزيع الفصول إلى فقرات، وتوزيع الفقرات من ثمَّ إلى جمل[1].

وإذا وجد المحقق أن النص لا عناوين له، فيضع عناوين رئيسية للفصول، وعناوين فرعية للفقرات، مع وضع علامات الترقيم الحديثة، من فواصل ونقط وغيرها، وكذلك إشارات الإستفهام والتعجب.

ولا بدّ أن تبدأ الفقرات الجديدة من أول السطر، ويمكن ترقيم سطور النص شعراً كانت أم نثراً، خمسة خمسة، أو ثلاثة ثلاثة، وتوضع العناوين الرئيسية والفرعية بين قوسين للإشارة إلى أنها من إضافات المحقق[2].

ب ـ ضبط النص وتقويمه:

إن أول خطوة في ضبط النص هي رسمه كما وضعه

---

(1) منهج تحقيق المخطوطات، مرجع سابق، ص ٣٨.
(2) صلاح الدين المنجد ص ٢٢.

مؤلفه بخطه نفسه، لأن للنص حرمته وأمانته، ولكن جرت عادة المحققين على نشر النص بالرسم الذي نعرفه اليوم[1].

والطريقة الحديثة في ضبط الرسم والشكل تعني إضافة الحركات إلى الكلمات، وكتابة أسماء الاعلام بالطريقة التي نكتب بها اليوم، مثلاً بدلاً من «سليمن» تكتب «سليمان» وبدلاً من «يٰس» تكتب «ياسين» وهلم جرا، وكذلك المحافظة على التشكيل إذا كان موجوداً في الأصل، وتشكيل الآيات والأحاديث والأشعار، وكل الألفاظ التي يلتبس معناها، والاعلام الأعجمية المعربة[2].

ويعتبر ضبط النصّ أس العمل التحقيقي. نظراً لما يكلف المحقق من وقت في النسخ، وجهود في ضبطه للوصول إلى الألفاظ الصحيحة.

ذلك أن المخطوطات، كتبت بخطوط وراقين لجأوا إلى التكسب من مهنة النسخ. وتعتبر النسخة التي كتبها المؤلف بخطه عادة من أفضل النسخات، حتى لو كان خطه لا يعتبر من الخطوط المقبولة، هذا إذا لم يشب المخطوطة أي شائبة، من رطوبة أو غيرها، قد تصيب المخطوط.

ولكن الواقع بين لنا أن أكثر المخطوطات التي عرفت

---

(١) عبد السلام هارون، ص ٧٤.

(٢) صلاح الدين المنجد، ص ٢١.

لم تكن بخط المؤلف، بل خطها الوراقون (النساخون) أو الذين تلقوها سماعاً.

وهنا تبرز أمامنا مشكلات لا دخل للمؤلف فيها؛ منها: أن الناسخ قد يكون رديء الخط، ضعيف الثقافة والتعليم، فتكثر أخطاؤه. وقد يصيب التلف بعض أوراق المخطوط أو قد يلحق بها بعض الرطوبة فتصيب بعضاً من جوانب المخطوط وتبدو بعض الكلمات ملطخة كأنها بقع من الحبر.

وكثيراً ما يلجأ الناسخون إلى استخدام حبر ملوّن مختلف عن حبر المخطوط، وذلك في بداية الأبواب أو في كتب التراجم والرجال أو في كتب البلدان أو في أي كتاب مشابه، يرى الناسخ فيه أن عليه تمييز ابتداء جملة جديدة. فينتج عن ذلك أن تبهت هذه البدايات جزئياً أو تختفي كلياً، فيصاب المخطوط بالنقص.

وهناك نوع آخر من النقص يصيب بعض الصفحات، إذ يشرد الناسخ عند قيامه بعمله فيسقط منه سطر أو أكثر.

وقد يصاب المخطوط بانفراط ورقاته، فيعمد القائمون على صيانة المخطوطات بإعادة لصقها، فيضعون بعض الأوراق في غير مكانها، وهذا أمر يشكل عقبة أمام المحقق، بالرغم من أنه غالباً ما يوفق إلى ضبط الورقات ووضعها في مكانها الصحيح.

والسبب في هذا الأمر أن الكثير من المخطوطات

العربية كانت غير مرقمة حتى القرن الخامس الهجري، فيلجأ الناسخ إلى أن يضع أول كلمة من وجه الورقة التالية (على اليسار) في نهاية ظهر الورقة السابقة على اليمين، وهو ما يسمونه «التعقيبة»؛ أما إذا لم يلجأ الناسخ إلى تلك الطريقة فإن المشكلة تصبح على غاية من الصعوبة.

وكثيراً ما يعمد الناسخون إلى نسخ الكلمات دون تنقيط أو إعجام، وبعضهم يعتمد التنقيط الجزئي، وبعضهم يسرع في رسم بعض الحروف بحيث لا يستطيع الناسخ التفريق بين الحروف المتشابهة، مثل الفاء والقاف والغين والسين والشين... الخ... وهذا يحتاج إلى إعادة رسم الحروف بما تقضيه أحوال عصرنا.

ومن المعروف أن المخطوطات ليست مكتوبة على جنس واحد من الورق، وبالتالي فإن عمر الحبر المستخدم في النسخ يختلف، مما يؤثر على جودة المخطوط.

التخريج:

ويعتبر ملازماً لضبط النص وتقويمه، ويعني أن يُرجع المحقق كل نص نقله المؤلف ولم يذكر مصدره، إلى مصدره وأصله، ويشار في الحاشية إلى ما فيه من زيادة أو نقص، أو اختلاف في اللفظ، وغير ذلك[١].

---

(١) صلاح الدين المنجد، ص ١٥.

فإذا أشار المؤلف إلى أنه رجع إلى كتاب معيّن، فيرجع المحقق إلى ذلك الكتاب ليتأكد من صحة النسبة. وان اقتبس المؤلف نصاً ولم ينسبه إلى صاحبه، كأن يبدأ بقوله «وقيل...» يسعى المحقق لمعرفة صاحب هذا النص[1].

ويخرّج المحقق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والأمثال، بوضع رقم الآيات القرآنية واسم السورة، ويخرّج الحديث، ويشار إلى مكان الشعر من الديوان بوضع رقم لكل بيت ونسبة كل بيت إلى قائله، وتعريف الأعلام الواردة بالمخطوط بما لا يتجاوز ثلاثة أسطر لكل منها[2].

وقد جرت العادة عند بعض المحققين في التعليق على النص بالإفاضة؛ وإذا كان التعليق مفيداً، إلاّ أن الإفاضة تعتبر في كثير من الأحيان لغواً بدون طائل.

ومن المفيد عطف الخبر على المصادر التي استقى منها المؤلف أو تلك التي نقلت عنه، أو ضبط الأحداث التاريخية أو الأسماء، وهذه الأخيرة تستوجب استشارة المصادر في التراجم والمعاجم، نظراً لما للتحريف والتصحيف من دور هام في تشويه الأسماء.

وهنا يبدو أيضاً أثر ثقافة المحقق، وهو أن يكون ممن تمرّس بإدراك خطأ الأعلام بحسه السليم.

(١) أحمد محمد الخراط، ص ٥٥.

(٢) نفسه، ص ٥٦.

ولقد تبين لدينا لدى قراءتنا لبعض الأعمال المحققة بعض الأخطاء الفادحة التي ارتكبت في هذا المجال، فقد وهم أحدهم وخلط بين جعفر الطيار، وهو جعفر بن أبي طالب الذي استشهد في غزوة مؤتة سنة ٨ هـ، وبين جعفر بن محمد، وهو الإمام جعفر الصادق المتوفى ١٤٨ هـ. ووهم أحدهم في «ذي الوشاح»، سيف عمر بن الخطاب، فقال: أخذه منه ابنه عبد الله في معركة صفين. وصوابه: عبيد الله، فالمعروف أن عبيد الله بن عمر شارك في معركة صفّين إلى جانب معاوية، وقتل فيها، كما نعلم أن عبد الله بن عمر اعتزل الفتنة. وهناك من يتوهم في بعض مناصب الأمراء والقادة أو مذاهبهم فيتحدث عن الأمرِ الموفق العباسي (طلحة) الذي قاد الحرب ضد الزنج ٢٥٥ هـ ويصفه بالخليفة.

لقد سقنا هذه الأمثلة، مما يشوه النص المضبوط، لا لنعدد أخطاء الآخرين، «ومن غربل الناس نخلوه». ولكن غرضنا أن نشير إلى أن بعض المتدربين على التحقيق أو من يساعد المحققين قد يقع في مثل هذه الأخطاء، ويفوت على مراجعيها الضبط الصحيح. ولذا يقتضي المحقق العودة إلى المصنفات التي تعنى بمثل هذه الموضوعات من أنساب السمعاني، ولباب ابن الأثير الجزري، أو المؤلفات في المتشابه، أو معاجم الملل والنحل، أو غير ذلك، وما أكثرها في مكتبتنا العربية.

التصحيح:

يندر أن يظل نص مخطوط ما كما وضعه مؤلفه، أو يخرج كما أرادهُ، فقد يتضمن النص نقصاً أو زيادة، نتيجة القِدم في الزمان أو بفعل النسّاخ، كما قد يحدث فيه تصحيف أو تحريف بفعل النساخ أيضاً، وأن جزءاً من مهمة المحقق معالجة ذلك كله بدقة وأمانة. وفي جميع الأحوال، فإن معظم التصحيحات تكون في الهامش، وليس في المتن، وحتى في هذه الحال لا بدّ من الإشارة إليها في الهامش، وبذلك يؤدي الأمانة ويخدم العلم حقاً[1].

وفي حالة تصحيح الأخطاء النحوية الواضحة التي لا لبْس فيها ولا خلاف عليها، يكون بالإشارة إليها في الهامش بالعبارة التالية: «في الأصل... وهو سهو»[2]. وإذا وجد أن حرفاً أو كلمة قد سقطت من النص، فيمكنه، بعد المقارنة مع النسخ الأخرى من المخطوط، أن يضيف ذلك الحرف أو تلك الكلمة ويضعهما بين قوسين مركنين أو حاصرتين [ ]، مع الإشارة إلى ذلك في الهامش[3].

وقد يحدث أن تسقط من النص عبارات عديدة أو حتى

---

(١) عبد السلام هارون، ص ٤٥.

(٢) أحمد محمد الخراط، ص ٤٤.

(٣) لويس جوتشلك، كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائدة عارف و أحمد أبو حاكمة، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٦. ص.

فقرة بأكملها، نتيجة الخُرم الذي يصيب الورق، إما بسبب تداوله بين الأيدي، وإما بسبب مرور الزمان، فيجب على المحقق أيضاً، مقارنة النص في المخطوط بنسخ أخرى منه، واستدراكه، والإشارة إلى ذلك في الهامش[١].

أما الزيادة الخارجية، أي تلك التي يزيدها المحقق نفسه على النص، من أجل التوضيح، أو لإشباع الكلام، فلا يجوز أن تكون في المتن، بل يشار إليها في الهامش. أما الزيادة أو التغيير في نص المؤلف بقصد تحسينه أو رفع مستواه، فهي جناية بحق العلم لا يفترض بالمحقق الجاد ارتكابها[٢].

وإذا ما أخطأ المؤلف في كلمة، أو في رسم اسم علم، فيمكن للمحقق أن يصحح ذلك في الهامش، أما المتن فيكتبه كما وصل إليه، لأن ذلك يعطي القارىء فكرة عن ثقافة المؤلف ومدى اطلاعه[٣].

ومن واجب المحقق تصحيح التصحيف والتحريف في المخطوط، وهو من عمل النساخ، وقلّما يسلم منه مخطوط. والتصحيف هو الالتباس في نقط الحروف المتشابهة في الشكل مثل الباء والتاء والثاء، والجيم والحاء، والدال

---

(١) صلاح الدين المنجد، ص ١٧.
(٢) عبد السلام هارون، ص ٧٢.
(٣) صلاح الدين المنجد، ص ١٧.

والذال، والراء والزاي وغير ذلك. أما التحريف فهو تغيير شكل الحروف ورسمها كالدال والراء، والدال واللام، والميم والقاف وغيرها[1].

ترجيح الروايات:

قد يجد المحقق اختلافاً في الروايات في نسخ المخطوط المختلفة، فإذا كانت في إحداها زيادة، وتأكد للمحقق أنها تنطبق على سياق النسخة وأسلوب المؤلف، وليست من إضافات النساخ، عمد إلى تثبيتها في المتن وأشار إلى ذلك في الهامش[2].

وإذا تعددت الروايات أمام المحقق، فعليه أن يعتمد أن يشير إلى ما ورد في النسخ الأخرى بالهامش، كما يشير أيضاً إلى المقارنة والفحص الذي قام به لروايات النسخ المختلفة للوصول للرواية الأكثر صواباً[3].

وهناك طريقة أخرى يمكنه أن يعتمدها، وهي أنه عند اختلاف الروايات يثبت في المتن ما يرجح أنه صحيح، بعد دراسة وتفحص يقوم بهما لكل رواية، ويضع في الهامش المصحَّف والمحرَّف والخطأ[4].

---

(١) عبد السلام هارون، ص ٦١.

(٢) نفسه، ص ٦٦.

(٣) نفسه، ص ٦٧.

(٤) صلاح الدين المنجد، ص ١٧.

وكذلك يجوز للمحقق أن يلفق بين روايتين تحمل كل منهما نصف الصواب ونصف الخطأ، ويثبت منهما ما يراه مناسباً، على ألا يغفل الإشارة إلى الروايات الأخرى كلها، ففي ذلك أمانة علمية، وإشراك للقارىء في تحملها[1].

وهناك من يرى أنه على المحقق أن يثبت رواية المخطوط الثابت أنه بخط المؤلف نفسه، أو بإملائه، أو مما أجاز نصه، وينشرها كما هي، ويصرف النظر عن الروايات الأخرى[2]، ولا ضرورة لأن يشير إلى تلك الروايات في الهامش.

العناوين:

إن تحقيق العنوان أمرٌ هام، ذلك لأن بعض المخطوطات قد يخلو من العنوان[3]، أو قد يكون فيه عنوان طُمس جزء منه، والحالة الثالثة هي وجود عنوان زائف لا يناسب مضمون المخطوط.

ففي الحالة الأولى لا بد للمحقق من وضع عنوان للمخطوط، ولا يتم ذلك عشوائياً، بل لابد له من الرجوع إلى كتب المؤلف الأخرى، ليتعرف إلى عنوان المخطوط

---

(١) هارون، ص ٦٧.

(٢) كمال اليازجي، إعداد الأطروحة الجامعية مع تمهيد في مقدمات الدراسة الجامعية، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٩.

(٣) انظر ص ١٥ من هذا البحث.

الأصلي، وكذلك عليه بمراجعة كتب التراجم أو كتب المؤلفات ليعرف عنوان المخطوط الذي بين يديه.

وفي حالة انطماس جزء من العنوان، فيرجع أيضاً إلى أسماء مؤلفات صاحب المخطوط المعروفة، وبواسطتها، أو بواسطة كتب التراجم أو فهارس المؤلفات، فيعرف العنوان الكامل الصحيح للمخطوط.

أما في الحالة الثالثة، حيث وُضع عنوان للمخطوط بخلاف الواقع، فقد يكون وضع العنوان الخاطىء مقصوداً، حيث يوضع عنوان كتاب مشهور على كتاب مغمور ليسهل رواجه، وقد يكون الخطأ غير متعمد، إذ قد يرى قارىء الكتاب أو مالكه أنه غفل من العنوان، فيضع له عنواناً على هواه[1].

وفي جميع الأحوال فإن العناوين الكاملة التي يضعها المحقق، أو أجزاء العناوين المطموسة لا بد من أن تكون بين مزدوجين دلالة على أنها من صنعه[2].

---

(١) عبد السلام هارون، ص ٤٠. وانظر ص ١٣ من كتابنا هذا.
(٢) اميل يعقوب، كيف تكتب بحثاً أو منهجية البحث، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٨٦، ص ١٢٧.

ج ـ إعداد الهوامش:

اعداد الهوامش جزء مهم من عملية التحقيق، ويذكر فيها الأخطاء اللغوية التي استطاع المحقق اكتشافها، مع عبارة: «في الأصل» بجانبها. كما يذكر فيها التفسير والشرح، وما اختلف عليه في نسخ المخطوط الواحد من الخطأ والصواب، وإذا كان الشرح طويلاً فلا يوضع في الهامش بل في ملحق خاص يوضع في نهاية الكتاب[1].

كما يوضع في الهامش التعليق على التصحيف والتحريف، وإيضاح ما يراه المحقق مشكلاً من النصوص، وتفسير الألفاظ الصعبة، وما غمض من العبارات أو المصطلحات[2].

ومكان الهامش في أسفل الصفحة، ويكتب بحرف مغاير لحرف النص، أو توضع الهوامش كلها في نهاية الكتاب، ويضبط الهامش بخط واضح وبأرقام متسلسلة[3]، ويذكر في الهامش المصادر التي ساعدت المحقق على إنجاز عمله.

ويشير المحقق فيما إذا كان الهامش من وضعه، أو من

---

(١) عبد المنعم ماجد، ص ٦٣.

(٢) منهج تحقيق المخطوطات، ص ٤٣.

(٣) عبد السلام هارون، ص ٨١.

وضع المؤلف أساساً، وإذا كان في النسخة الأم بعض الهوامش المأخوذة من نسخ أخرى اعتبروا ما أثبت في الهامش على أنه نسخة ثانية ويشار إلى ذلك في الهامش أيضاً[1]. وإذا كان المؤلف أخذ نصوصاً من غيره ولم يشر إليها، فيشير المحقق إلى تلك المصادر في الهامش[2].

على أن بعض المحققين قد أسرف في استخدام الهوامش وأساء استعمال حقه، ولا سيما في ترجمة أعلام المصَنّف. فأفاض بالترجمة لمشاهير الأعلام، مثل الخلفاء الراشدين؛ أو شرح أسماء بعض مدن العالم الإسلامي، مثل مكة، والمدينة، والطائف، وصنعاء، وعدن، ودمشق، والقدس، وبيروت... الخ. وبعضهم اشتط في شرح مفردات اللغة من مثل: أفلت الغزالة، وشرحها: غابت الشمس، في حين غاب عنه تدقيق المصطلح الحضاري، من ألفاظ تختص بعمل الدواوين، أو أنواع الملابس، أو أنواع العملات (النقود)، والموازين، في حين أن هذه المصطلحات ترتبط معانيها باستخدامها في أقاليم معينة، أو في مراحل تاريخية معينة، وهو شبيه بما نقع فيه اليوم من اختلاف في أسماء بعض السلع أو المقادير والمقاييس والمعايير.

---

(١) إميل يعقوب، ١٢٧.

(٢) عبد الرحمن عميرة، ص ٦٦.

د ـ كتابة المقدمة:

بعد أن ينجز المحقق تحقيق النص يشرع في كتابة مقدمة له. وهذه المقدمة لا بدّ منها، لأنها تقدم للقارىء معلومات حول المخطوط وأهميته، ومدى عمق الباحث وجديته في التحقيق، والبراهين التي تؤكد صدق ذلك وصحته[1].

لا حدود لحكم المقدمة، فقد تكون مختصرة، وقد تكون طويلة، وهي تتضمن عادة ثلاث نقاط رئيسية هي: التعريف بالمؤلف وعصره، والتعريف بالمخطوط وأهميته، وبيان منهج المحقق في عمله، والجهد الذي بذله في سبيل تحقيق المخطوط ونشره.

بالنسبة للنقطة الأولى يقوم المحقق بالتعريف بالمؤلف، وبعائلته، وبالعلوم التي حصّلها، وبالمناصب التي شغلها، وبأساتذته الذين درس عليهم. كما يرسم صورة لبيئته وعصره، والدور الذي احتله المؤلف في محيطه، والمصادر التي ترجمت له[2].

وتدورُ النقطة الثانية حول التعريف بالمخطوط من حيث عنوانه، وصحة نسبته إلى مؤلفه، وماذا أُلِّف قبله من كتب في

---

(١) عبد السلام هارون، ص ٧٨.
(٢) صلاح الدين المنجد، ص ٢٨.

موضوعه، وما هي المصادر التي اعتمدها المؤلف في خطوطه. ثم يذكر فيها إذا كان المخطوط كاملاً أم ناقصاً، ويصف نوع الورق وسماكته، وعدد أوراقه، وقياس الورقة، وعدد السطور في كل ورقة، وطول كل سطر وما فيها من هوامش وأبعادها.

ويذكر أيضاً نوع الخط الذي كتبت النسخة به، وجودته أو رداءته، ونوع الحبر ولونه، وفيما إذا كانت أوراق المخطوط مرقمة أم غير مرقمة، وما فيها من تعقيب أو تعليق في الهوامش أو إجازات أو تمليكات(١).

ويثبت اسم الناسخ وتاريخ النسخ، ونوع جلد المخطوط (غلافه)، ومكان وجوده، ويصف وصفاً سريعاً النسخ الأولى للمخطوط. ثم يذكر منهج المؤلف في مخطوطه، وقيمته العلمية، والجديد الذي أتى به(٢)، ومدى إفادة الباحثين منه والحاجة إليه.

أما النقطة الأخيرة فهي منهج المؤلف في التحقيق، فيصف أولاً العوامل التي دفعته إلى تحقيق هذا المخطوط، والمنهج الذي اتبعه في التحقيق، والنسخ التي رجع إليها، وكيفية رسم الألفاظ في المخطوط وما هو التعديل الذي أجراه عليها، ويذكر نماذج من ذلك، ويتطرق إلى العلوم المساعدة

---

(١) صلاح الدين المنجد، ص ٢٩.

(٢) أحمد محمد الخراط، ص ٦٩.

التي أعانته في تحقيق عمله (كعلوم الخط والورق والاختام والنقوش واللغة وغيرها)، والمراجع التي عاد اليها في تحقيق المخطوط، ويستحسن أن يعمد إلى تصوير بعض صفحات المخطوط، خصوصاً الأولى والأخيرة منه، لتكون شاهداً على حُسن عمله[1].

هـ ـ الفهارس الفنية ومسرد المراجع:

مع أن الفهارس الفنية المتعددة تعتبر من المكملات في عملية التحقيق، إلا أنها ضرورة لا غنى عنها في المخطوطات المحققة، حيث تعسر دراسة تلك المخطوطات بدونها، لأن تلك الفهارس تخرج ما خفي في باطن المخطوط، وهي معيار توزن به صحة النصوص بمقابلة ما فيها من نظائر قد تكشف عن خطأ المحقق أو سهوه[2].

فالمخطوط على هذا مثل الخزانة المقفلة، والفهارس هي المفاتيح التي تجعل القارىء يستخرج من تلك الخزانة كنوزها، ويستفيد منها إلى أقصى حدود الإفادة بيسر وسهولة[3].

---

(١) عبد السلام هارون، ص ٧٨.

(٢) نفسه، ص ٨٦.

(٣) منهج تحقيق المخطوطات، ص ٤٤.

والفهارس الفنية أنواع مختلفة، فمنها فهرس الأعلام وفهرس الأماكن، وفهرس القبائل والعشائر، وفهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث النبوية، وفهرس الأشعار، وفهرس المفردات والمصطلحات الحضارية وفهرس الموضوعات، وفهرس الأحداث التاريخية، وفهرس المواقع والمعارك الحربية، وغيرها من الفهارس.

وقد يضم الكتاب كل هذه الفهارس، أو بعضها، وذلك حسب موضوعه واختصاصه. وجميع هذه الفهارس ترتب ترتيباً هجائياً، بحيث يعتمد الحرف الأول من الكلمة فالثاني والثالث وهكذا. وبالنسبة للكنى والأسماء التي تبدأ بـ «ابن» و«أبو» و«ذو» فالبعض يرى وضعها في حرفي «أ» و«ذ»، بينما يرى البعض الآخر عدم اعتبارها والنظر إلى الكلمة التي تليها، فأبو حسن توضع في حرف «ح»، وذو إصبع توضع في حرف «أ» وهكذا[1].

ولما كان المحقق قد رجع في تحقيق الكتاب إلى مراجع كثيرة أو قليلة، ورد ذكرها في المقدمة أو في الهوامش الموجودة في الكتاب، فمن الواجب وضعها جميعها في مسرد يعرف بمسرد المراجع، ويوضع في نهاية الكتاب. وبعض هذه المراجع يتعلق بفن تحقيق المخطوطات، وبعضها الآخر يدور حول فهارس المخطوطات، بينما يختص

(١) عبد السلام هارون، ص ٩٠.

غيـرها بـالعلوم الموصلة (أو المسـاعـدة) التي استخـدمهـا المحقق لإنجاز تحقيق مخطوطه[1].

وطريقة تـدوين فهرس مسـرد المراجـع يكون حسب الترتيب التالي: اسم المرجع كاملاً، فاسم المؤلف كاملاً، فتاريخ الطبع ومكانه، والناشر ورقم الطبعة إن وجد، واسم المحقق أو المترجم إن كان مترجماً[2].

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى بعض المختصرات الموجودة في كتب التراث القديمـة، أو التي تعارف عليهـا الباحثون لتسهيل العمل، وفيما يلي جدول بأهمها:

الخط المائل / يوضع في متن الكتاب قبل أول كلمة من كل صفحة من المخطوط، ويوضع الرقم يمين الصفحة المطبوعة، ويستعمل أيضـاً للفصل بين رقم جـزء وصفحة المصدر في الهامش.

النجمة * = توضع لمساعدة أرقام الهامش.

حرف (و) أو (آ) = يوضع بعد رقم صفحة المخطوط ويعني وجه الورقة.

حرف (ظ) أو (ب) = يوضع بعد رقم صفحة المخطوط ويعني ظهر الورقة.

---

(١) منهج تحقيق المخطوطات، ص ٣١.

(٢) أحمد محمد الخراط، ص ٧٨.

نا: أخبرنا.

ثنا: حدثنا.

انبا: أنبأنا.

رحه: يرحمه الله.

رضه: رضي الله عنه.

تع: تعالى.

اهـ: انتهى.

ص: المصنف.

صح: لاستدراك نقص سقط سهواً في النسخ من المتن.

ش: الشرح.

الخ: إلى آخره.

* * *



فهرس المراجع

ـ جوتشلك، لويس:
كيف نفهم التاريخ: مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي - ترجمة د. عائدة سليمان عارف ود. أحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٦.

ـ الخراط، أحمد محمد:
محاضرات في تحقيق النصوص، جدة، المنارة، ١٩٨٤.

ـ عبد التواب، رمضان، مناهج تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٨٦.

ـ عميرة، عبد الرحمن:
أضواء على البحث والمصادر ـ دار الجيل، بيروت، ط ٤، ١٩٨٦.

ـ منهج تحقيق المخطوطات:
مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ـ إيران، ١٩٨٨.

- ماجد، عبد المنعم:
مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٤.
معروف، بشار عواد، ضبط النص والتعليق عليه، بيروت، ١٩٨٢.
- المنجد، صلاح الدين:
قواعد تحقيق المخطوطات، ط ٤، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠.
- هارون، عبد السلام:
تحقيق النصوص ونشرها - ط ٢، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥.
- اليازجي، كمال:
إعداد الأطروحة الجامعية مع تمهيد في مقدمات الدراسة الجامعية، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦.
- يعقوب، إميل:
كيف تكتب بحثاً أو منهجية البحث، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٧٦.

❊ ❊ ❊

رسالة أبي دلف الأولى

(توفي حوالي ٣٥٠هـ)

مقدمة التحقيق

١ ـ بلاد ما وراء النهر:

تكتسب بخارى أهمية خاصة، حيث أنها كانت في عهد السامانيين عاصمة لبلاد ما وراء النهر، وإلى جانبها كانت سمرقند، وهما أكبر مدينتين في تلك المنطقة، والطريق الرئيس الذي يربط بينهما وعرف بالطريق الملكي[١]، بات شرياناً رئيساً بعد أن اندرجت على حافتيه مدن وقرى تأكدت أهميتها التجارية[٢]، حيث السلع الهامة موضع تبادل مع العراق والهند والصين وسائر بلاد الترك.

وعند أسفل سوران حيث يجتاز نهر سيحون مفازة الترك والغزية، وقبل مرحلتين من مصبه في بحر آرال، كانت تقع مدينة ينكث، وغير بعيد منها، كانت تقوم «جند» عاصمة السلاجقة حيث تمر طريق التجارة مع الكيماكية[٣].

---

(١) برتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، (الكويت، ١٩٨١)، ص ١٨٨.

(٢) النرشخي، تاريخ بخارى، نقله إلى العربية أمين بدوي، ونصر الله الطرازي، (دار المعارف، القاهرة، د. ن)، ص ٢٧.

(٣) برتولد، المرجع السابق، ص ٢٩٣.

وما وراء النهر هو الاسم الذي أطلقه العرب على المنطقة المتحضرة، الواقعة بين نهري جحيون (أموداريا) وسيحون (سيرادايا). ولم تكن هذه المنطقة، لدى الجغرافيين المسلمين تدخل ضمن تركستان، التي كان يقصد بها بلاد الترك عامة، والممتدة بين بلاد الإسلام ومملكة الصين والتي يقطنها الرحل من الترك والمغول[٤]، وهي تتألف من قمسين: تركستان الشرقية الصينية (سينكيانغ)، وتركستان الروسية.

وعلى مر الزمان كانت بلاد ما وراء النهر المتحضرة عرضة لهجمات البدو من الأتراك. ومنذ أن امتد الإسلام على أراضي الإمبراطورية الفارسية، كانت حدود العالم الإسلامي تنتهي عند نهر جحيون، الذي شكل الحد الفاصل بين الممالك الإيرانية المستقلة والعالم الطوراني.

منذ القرن الرابع للميلاد، أخذت تتسرب عناصر تركية إلى بلاد ما وراء النهر، حتى اختلطت فيها اللغة الفارسية باللغة التركية. وكانت خصوبة تلك الأصقاع مطمع الجيران من البدو الأتراك، وخاصة أنه يمر فيها طريق التجارة المتجه إلى التبت، التي يجلب منها المسك. وعلى العموم كانت تركستان ممراً لقوافل التجار مع الصين[٥].

(٤) المرجع نفسه، ص ١٤٥

(٥) الرجع نفسه، ص ٢٩٨.

بعد احتلال العرب خراسان انصرفت نيتهم بادىء الأمر، بوصفهم ورثة للامبراطورية الساسانية، إلى أن يقوموا بين الحين والآخر بغارات متقطعة على الأقسام الشرقية، والزحف، لا إلى نهر جيحون فحسب، وإنما الوصول إلى نهر سيحون أيضاً، حيث أخضعوا لسلطانهم جميع الأراضي التي قامت فيها حضارات السغد والهياطلة، وهو الوضع الذي كانت عليه بلاد ما وراء النهر إذ عرف العرب الشعوب التي نزلت شرقي نهر جيحون ببلاد الهياطلة[٦].

وهناك خلاف في أصل الهياطلة، فقد جاء هؤلاء من الولاية الصينية (قان صو) وغزوا طخارستان، وعرفوا بالهون البيض، ولم يكونوا منهم. وفي سنة ٤٨٤ م لقي الإيرانيون هزيمة شنعاء على أيدي الهياطلة الذين توغلوا في إيران واستولوا على ولايات كثيرة وفرضوا إتاوة سنوية[٧]، ومع هذا فإن البعض يعتبرهم من أصول إيرانية، فيما هناك قلة من الباحثين يقولون بأنهم من أصل تركي. ويلخص فراي مجمل الآراء في أصل الهياطلة بقوله: «قد يجد المرء عناصر تركية أو مغولية في أصل الهياطلة، لكن الشواهد لا تلبث أن تشير

---

(٦) ياقوت، معجم البلدان (دار صادر، بيروت) ٥/٤٢٢.

(٧) كرستنسن، إيران في عهد الساسانيين، نقله إلى العربية يحيى الخشاب، وراجعه عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية (بيروت، د.ت)، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

بالدرجة الأولى إلى أصول إيرانية. فمن المحتمل أن يكون بعض الأوائل منهم من الهون (المغول) ولكن ما يزال هناك إيرانيون كثيرون في أواسط آسيا[٨].

تمكن الهياطلة في النصف الأول في القرن السادس للميلاد من السيطرة على بلاد فارس وأخذوا منها جزية سنوية. وقامت في إيران حركة استنهاض لطرد الهياطلة، ونرى في حروب الفرس ضد البيزنطيين مشاركة هيطلية إلى جانب الفرس، الذي تمكنوا من التخلص من سيطرة الهياطلة بين سنتي ٥٦٣ و٥٦٧ بعد أن ضمنوا صداقة قوة جديدة نشأت في ما وراء النهر، وهم الأتراك الغربيون أو الترقش، الذين أضعفوا قوة الهياطلة في حملة قادها القائد التركي سنجيبو، SILZIBUL وبات نهر جيحون الحد الفاصل بين إيران وأراضي الخاقان التركي الذي صار عدواً للهياطلة شديد المراس، وظهرت في القوقاز قبائل الترك أيضاً، مما حدا بكسرى إلى أن يجدد تحصينات دربند (باب الأبواب)[٩].

على أن الهياطلة لم يذوبوا تماماً في المجتمع، وحيث

---

(٨) FRYE, *The Heritage of Persia*, (London, 1962) P. 227.

(٩) كرستنسن، ص ٣٥٨، أيضاً.

GHIRSHMAN, *Les Chionites - Hephtalites* (Le Caire, 1948) PP 67 - 133.

ظل عنصر البداوة هو الغالب، فإنهم تمكنوا من تأسيس إمارات لقيت دعم الأتراك(١٠). ففي سنة ٦٣٠ م كانت بلاد الهياطلة منقسمة إلى سبع وعشرين إمارة، وجميعها تخضع للسيادة التركية، مع وجود نوع من الاستقلال الذاتي. وكان أمير الأتراك الغربيين، ويدعى جبغويه، قد عين حاكماً عاماً بلقب «شاذ» وكانت إقامته قرب «وروليز» الواقعة على طريق بلخ ـ بدخشان، وكانت هذه المنطقة محطة هامة بالنسبة للطريق المؤدي إلى جبال هندوكوش(١١). وقد أطلق اسم طخارستان على المناطق الواقعة على ضفتي أموداريا، والتي كانت تعتمد اقتصادياً على بلخ(١٢).

ومنذ العام ٦٣٠ بدأ الصينيون يعملون على تقويض سلطان الأتراك الغربيين حيث تمكنوا من تحقيق غرضهم في العام ٦٥٨، وفي هذه الفترة، استطاع أحد أبناء الشاذ أن يؤسس له أسرة حاكمة هي جبغوية طخارستان. وحذا حذوه من استطاع التخلص من سلطة الصينيين بأن يؤسس إمارة

---

(10)GIBB, H., *The Arab Conquests in Central Asia,* (London, 1923), P.3.
GHIRSHMAN, P.96.

(١١) الإصطخري، ص ٢٧٩، ٢٨٦.
(١٢) برتولد، تركستان، ص ١١٨.

تخضع لجبغويه وتتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي(١٣)، رغم أن نشاط الحكومة الصينية كان متجهاً لإعادة تنظيم هذه المقاطعات في إطار ١٦ إمارة(١٤).

وفي شمال هذه المنطقة، حيث منطقة باب الحديد (دربند) التي تصل إلى نهر زرفشان، حيث بلاد السغد، التي كانت تعاني من الانقسام السياسي فتقوم إمارات صغيرة متنافسة، بحيث يمكن وصفها بأنها اتحاد سائب أشبه ما يكون بالمدن ـ الدول في تاريخ الإغريق القديم(١٥).

وبين عامي ٦٠٥ و٦١١ تزوج ملك سمرقند، وهي كبرى مدن السغد، من أميرة من العائلة الحاكمة التركية، وانتهى الأمر إلى أن صار ملك سمرقند تابعاً للأتراك الغربيين(١٦).

وقد اشتهر أهل السغد بنشاطهم التجاري، فقد كانوا أصحاب تجارة الحرير الصيني، وكانت مراكزهم التجارية في سمرقند وبيكند، وكش، كما كانوا يقومون بأعمال الوساطة التجارية بين الشرق والغرب.

---

(13) GIBB, *the Arab Conquests*, P.8.

(14) CHAVANNES, *Documents sur les lou-Kiue (turc) occidentaux* (Saint Petersbourgue, 1903, PP. 264,274,287, 299.
GIBB, *the Arab Conquests*, PP.7-9.

(15) GIBB, P.5.

(16) CHAVANNES, *Documents*, P 135.

لعل هذا العرض الموجز، يعطينا صورة مبسطة للعلاقات التي كانت سائدة في خراسان وما وراء النهر قبيل الفتح الإسلامي، حيث السيادة الإيرانية التي كانت تسمح بقيام علاقات تجارية أحياناً، وعسكرية أحياناً أخرى، ويبدو فيها دور القبائل التركية والمطامح الصينية التي سوف تزداد وتيرتها شيئاً فشيئاً مع وصول العرب إلى بوابات الشرق.

٢ ـ فتح خراسان:

بدأ فتح خراسان أيام الخليفة عثمان بن عفان، وبقيادة والي البصرة عبد الله بن عامر (٢٩ ـ ٣٣/ ٦٤٩ ـ ٦٥٢). وتفصل المصادر تقدم الجيوش العربية نحو الشرق في ممتلكات الساسانيين، التي تكللت بمعركة نهاوند (٢١ هـ/ ٦٤٢). وفي الفترة بين السنة ٢١ هـ/ ٦٤٢ وبين وصول عبد الله بن عامر إلى البصرة في سنة ٣٠/ ٦٥٠ كانت جيوش العرب من الكوفة والبصرة قد أتمت فتح الجزء الغربي من الامبراطورية الساسانية، في حين كان عمر بن الخطاب قد أمر عمار بن ياسر والي الكوفة بتوجيه حملة إلى الري في إقليم الجبال. وتمكن المغيرة بن شعبة، والي الكوفة الجديد، من أن يفتح أذربيجان، فتوغلت بعض هذه الحملات حتى وصلت طبرستان وجيلان[1] وكانت أبعد نقطة

(١) البلاذري: فتوح البلدان، باعتناء صلاح الدين المنجد، (القاهرة، د. ت) ص ٣٨١، ٤٠٠، ٤١١.
أيضاً، تاريخ الطبري، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، ١٩٦٣)، ٤/ ١٥٣.

وصلت إليها جيوش البصرة في الشرق هي الطبسين، التي وصفت بأنها بوابة خراسان[٢].

ويبدو أن والي الكوفة سعيد بن العاص قد جهز حملة إلى طوس بناء لطلب من مرزبانها نيزك (كانارانج) الذي أفزعه خطر هجمات الهياطلة من هراة وباذغيس بعد أن رأوا انهيار الامبراطورية الساسانية، فطمعوا في ضم بعض أراضيها إلى ممتلكاتهم[٣] ووصلت جيوش العرب إلى قومس، فيما سلكت حملة أخرى نحو كرمان (٦٥١/٣١) وسقطت الطبسين ثم نيسابور، وتبعها نواحي خراسان واحدة تلو الأخرى مثل هراة وباذغيس، وبعدها سقطت مروالرذ آخر معاقل الساسانيين عام ٣٢ هـ/٦٥٢[٤]. وهنا كان للأتراك الهياطلة مشاركة في مساعدة مروالروذ، لذا كان الهجوم على فارياب وبلخ[٥]. على أن فلول الساسانيين وبلخ لم تلبث أن أعلنت التمرد في عام ٦٥٣/٣٣[٦] حتى خرجت قوهستان وهراة وباذغيس وبلخ ونيسابور. ومع أنه أعيد تثبيت الأمن في خراسان، إلّا أن هذا الأمن سيبقى هشاً خلال

---

(٢) البلاذري، فتوح، ص ٤٩٩.

(٣) الطبري ٤/٢٦٩.

(٤) الطبري ٤/٣١٠ ـ ٣١١، والبلاذري فتوح ٥٠٢.

(٥) الطبري ٤/٣٠٩ ـ ١٠، والفتوح ٥٠٣ ـ ٥٠٥.

(٦) الطبري ٤/٣١٧ والبلاذري، فتوح ٥٠٦.

الفتنة، وسوف تعود البلاد إلى الاستقرار بعد خلافة معاوية ٤١ هـ/٦٦١.

كان قتيبة بن مسلم أكثر ولاة خراسان قدرة على فرض السلطة العربية، حيث جاءه الملوك وأدوا له الطاعة[٧] وصالح نيزك أمير باذغيس على أن يشترك مع المسلمين في حروبهم ضد بخارى (٨٧ - ٩٠/٧١٦ - ٧١٩)، التي سيطر عليها واحتل بيكند، مركز التجارة الصينية[٨]، وقد استفاد من مركز حيان النبطي في المفاوضات مع أتراك الصغانيان[٩]، وتأتى لقتيبة أن يضرب في العام ٧٠١/٩١ تمرداً كبيراً ضده[١٠]، وامتدت السيطرة العربية بعدها إلى بلاد جبغويه في حوض نهر سيحون[١١]. وبعد ٩٦/٧١٥ ركز قتيبة انتباهه على بلاد ما وراء النهر، حيث تغلغل حتى وصل إلى فرغانة، بعد أن احتل خوارزم في العام ٧١٢/٧٣ بحجة مساعدة ملكها الضعيف ضد أخيه الثائر عليه[١٢]. وفي طريق عودته استولى

---

(٧) الطبري ٦/٤٢٤ - ٤٢٥، فتوح البلدان ٥١٦ - ٥١٧.

(٨) الطبري، ٦/٤٣٢ - ٤٣٢.

(٩) المصدر نفسه، ٦/٤٤٥.

(١٠) المصدر نفسه، ٦/٤٥٦ - ٤٦٠.

(١١) GIBB, p. 81.

(١٢) المصدر نفسه، ٦/٤٦٩، وفتوح البلدان ٥١٧.

على سمرقند ودخلها عنوة وفرض على أهلها صلحاً جديداً، وأقام في قلعتها حامية عربية[١٣].

وتستدعي حروب قتيبة تسجيل عدة ملاحظات أهمها:

١ - إن فتح بخارى تم شبراً شبراً، وأخضع السكان للسيادة العربية، فيما كان فتح سمرقند قد ترك بلاد السغد غير خاضعة تماماً للعرب، لكنها لأسباب سياسية قبلت بالسيادة العربية[١٤].

٢ - وصل قتيبة في فتوحه ما بين سنتي ٩٤ - ٩٥ هـ/٧١٣ - ١٤ بجيوشه العربية إلى المناطق التركية في اسبيشاب وفرغانة، لكن وفاة الوليد بن عبد الملك أوقفت عملياته العسكرية[١٥].

٣ - برز عنصر المجندين من غير العرب منذ فتح خوارزم وفتح سمرقند عام ٧١٢/٩٣، ثم سوف نجدهم يشاركون في غزوات ٩٤ و٧١٣/٩٥ و٧١٤ إلى جانب مجندين أخرين من السغد[١٦]، ويبدو أن قتيبة لجأ إلى الاستعانة بالأعاجم عند ظهور رغبة جيشه بعد فتح خوارزم

---

(١٣) الطبري، ٤٧٢/٦، البلاذري ٥١٨.

(14) GIBB, *The Arab Conquests*, PP. 45 - 6.

(15) GIBB, PP. 48, 52.

(١٦) تاريخ الطبري، ٤٧٤/٦ - ٤٧٥.

بالعودة، فاستجاب لهم قتيبة وأمرهم بالعودة إلى مرو[١٧]؛ ولكن الطبري يذكر أن قتيبة عاد وأغار على سمرقند، وعاقب حياناً النبطي[١٨]، ونرى في قتال سمرقند وجود مجندين من بخارى وخوارزم (العبيد) الذين كانوا عنصراً هاماً في الجيش، مما حمل أمير بخارى على القول لقتيبة: إنك تقاتلني بإخوتي وأهل بيتي[١٩].

على أن المجندين قد تمردوا بعد أن أحسوا بالتعب، واضطربت الأوضاع الاقتصادية في ظل الحرب؛ وفي رأينا، إن هذه المرحلة تمثل انعطافاً هاماً في تاريخ العسكرية العربية، فبعد أن رفض أبو بكر استخدام المرتدين، ثم استخدمهم عمر بعد أن رأى الحاجة ماسة لإستخدام أعداد أكبر من المقاتلة، نرى المقاتلين من العجم يدخلون جيوش الفتح بأعداد كبيرة.

كانت ولاية مسلم بن سعيد على خراسان (١٠٤ ـ ١٠٦/٧٢٣ ـ ٧٢٥) بمثابة حملات متتابعة على ما وراء النهر. ولكن أهم الحملات تلك التي عرفت بيوم العطش (١٠٦/٧٢١) حيث التقى فيها جيش التركش[٢٠].

---

(١٧) المصدر نفسه، ٦/٤٧٢ ـ ٤٧٣.

(١٨) المصدر نفسه، ٦/٤٨٠.

(١٩) المصدر نفسه، ٦/٤٧٤.

(٢٠) المصدر نفسه، ٧/٢٩ ـ ٣٠.

ويصف جب هذه المعركة بأنها آخر معركة توسعية يخوضها العرب خلال الخمسة عشر سنة التالية، بما أصابت من كرامة العرب وقدراتهم العسكرية، حتى باتوا يتراجعون عن كل شبر تقريباً فيما وراء النهر، كما أنهم صاروا في موقع الدفاع عن النفس(٢١) وزاد من خطورة الوضع أن قام حلفاء العرب في السغد والشاش وفرغانة، بالانضمام إلى التركش أعداء العرب(٢٢)، وسيبرز هذا الموقف أثناء ولاية أسد بن عبد الله القسري على خراسان (١٠٦ ـ ٧٢٤/١٩ ـ ٧٢٧)، الذي رأى أن جهده يجب أن ينصب على اتقاء خطر التركش وردهم، فيما نراه يحول نشاطه إلى غزو المناطق الجبلية في غرشستان والغور(٢٣)، وغزا الختل ٧٢٦/١٠٨ في محاولة لإنشاء تحالف مع أهلها ضد التركش الذين يشكلون خطراً محتملاً.

ثم جاء الأشرس السلمي والياً على خراسان، وكانت مهمته الأساسية اتقاء الخطر التركي، ولكنه تسبب في نشوب ثورة عارمة في ما وراء النهر، إذ كان قد أرسل بمبشرين لنشر الإسلام، ورفع عمن اعتنق الإسلام الجزية، ولكنه عاد عن رأيه(٢٤)، فثارت السغد وطلبت العون من الأتراك، فظهر

(21) GIBB, *the Arab Conquests*, P. 66.

(٢٢) الطبري، ٣٣/٧.

(٢٣) المصدر نفسه، ٧/٤٠، ٤٣.

(٢٤) المصدر نفسه، ٥٤/٧.

الخاقان وجنوده أمامه في بلاد السغد عام ٧٢٩/١١٢، لكن الأشرس تمكن من حفظ ماء وجهه باستعادة بخارى قبل أن يأمر هشام بن عبد الملك بعزله عن الولاية[٢٥]، واضطر الوالي الجديد «الجنيد» المري أن يواجه هجوم خاقان الترك الذي شارك فيه غورك أمير السغد وجبغويه أمير طخارستان، وكانت النتيجة أن تمكن العرب من استرداد سمرقند وتخليص بلاد السغد لهم[٢٦].

في هذه الأثناء كانت الدعوة العباسية تنتشر ببطء في أوساط العرب، غير أن الحارث بن سريج لم يرفع علم المسودة إلا في العام ٧٣٤/١١٦، وفي العام ٧٣٥/١١٧ أمر الوالي الجديد أسد بن عبد الله القسري بقتل زعماء الدعوة العباسية في خراسان[٢٧]، وبمقاتلة أنصار الحارث، وكان مسرح الأحداث الرئيس في بلاد الختل، في المواضع القريبة من ترمذ، وقام أسد بنقل عاصمته إلى بلخ بعد إعادة بنائها[٢٨].

وفي العام ١١٨ هـ/٧٣٧ دخل أسد في قتال عنيف بطخارستان ضد خاقان الترك وحلفائه، وهم، على ما أورد

(٢٥) المصدر نفسه، ٥٦/٧.

(٢٦) المصدر نفسه، ٧٦/٧ ـ ٨٠.

(٢٧) تاريخ الطبري، ١٠٧/٧ ـ ١٠٨، برتولد، ص ٣١١.

(٢٨) الطبري، ١٠٦/٧ ـ ٧.

الطبري، أسد وأمير أشروسنة وملك السغد وصاحب الشاش وصاحب الختل وجبغويه[٢٩]؛ ولأول مرة منذ عهد طويل، تمكن الترك من عبور نهر أموداريا إلى ضفته اليسرى، ولكن النصر ما لبث أن تحول إلى جانب العرب، فتقهقر الترك إلى أشروسنة[٣٠]، حيث أخذ جندهم يعدون لغزو سمرقند، غير أن خاقان الترك قتل على يد أمير التركش المدعو كورصول.

ان معركة غرشستان لم تكن انتصاراً للعرب فحسب، بل نقطة البداية في سقوط الترك وزوالها التي كانت مرتبطة بزعامة سولو وبطولته. لقد عامله أمراء طخارستان وما وراء النهر بالاحترام والتقدير، ولكن السخط الذي أشاعه الصينيون بين رعاياه، انفجر بقوة وأدى إلى مقتله على يد كورصول التركشي، ثم إلى انهيار مملكته وتفرق التركش وتحويلهم إلى جماعات للنهب والسلب[٣١]. ويعتقد جب أن همّاً تجارياً رافق فتوح أسد في حملته على الختل ١١٩/٧٣٧، إذ كان يرمي إلى السيطرة على طريق تجاري يربط الشرق بالغرب ويمر ببلاد الختل عبر جبال البتم (هضبة بامير)، وهذا أيضاً كان من هموم السغديين وأمراء ما وراء النهر المتعلقة بالتجارة بين الشرق والغرب[٣٢].

---

(٢٩) المصدر نفسه، ٧/١١٥.

(٣٠) المصدر نفسه، ٧/١١٩، ١٢٥.

(31) GIBB, PP, 83 - 84.

(٣٢) الطبري ٧/١١٦ ـ ١١٧.

ولقد تابع نصر بن سيار سياسة سلفه، فأعاد سيطرة العرب إلى حوض نهر سيحون، وعقد معاهدات مع أمراء أشروسنة والشاش وفرغانة(٣٣)، ووقع كورصول أسيراً في أيدي العرب، ثم قتل، بعد أن بات أقوى أمراء الأتراك.

وما كاد الأمر يستتب للعرب حتى بدأ التجار المسلمون يطرقون الطرق التجارية القديمة. وتتوقف المصادر الصينية في القرن الثامن للميلاد (الثاني للهجرة) عند القوافل التي كانت تعبر آسيا الوسطى كلها، وينتهي بها المطاف إلى بلاد القرلوق على المجرى الأعلى لنهر ينسي، ثم امتد نشاط هؤلاء التجار إلى بلاد القرغيز. وتتفق المصادر العربية مع النقوش الأورخونية، حيث أسهم الرحالة المسلمون في وصف الشعوب التركية المحيطة ديارها بتلك الطرق(٣٤)، ومنها كان هذا العمل الذي بين أيدينا، «رسالة أبي دلف الأولى».

غير أن الأمور السياسية كانت تسير في منحى آخر؛ فقد ازداد الانقسام بين القيسية واليمانية، وقام نصر باستخدام القيسية في إدارته، وبعد أربع سنوات أراد إصلاح هذا الخطأ، ولكن ذلك لم يحل دون نشوب ثورة قادها جديع بن

(٣٣) المصدر نفسه، ١٧٤/٧ - ٥.

(٣٤) برتولد، تركستان، ص ٢٩٣ - ٢٩٦.

علي الكرماني ١٢٦ هـ/٧٤٤[٣٥]. ورأى نصر في الحارث بن سريج عدواً أشد مراساً، فحاول نصر استرضاءه وتجنبه قبل الصدام مع قواته، لكن جديع بن علي انضم إلى الحارث معارضاً وحققا عليه النصر في مرو التي أخلاها ١٢٨/٧٤٦؛ غير أن الأمور التي ساءت من جديد بين الحارث وجديع، أدت إلى أن بات جديع سيد مرو، وقتل الحارث[٣٦].

وحين حاول نصر استرداد مرو، وبعد معارك نزال عدة، ظهر في النزاع طرف ثالث، هو أبو مسلم الخراساني، زعيم الدعوة العباسية في خراسان.

عمل أبو مسلم على جمع خصوم بني أمية إلى جانبه، مستفيداً من المعارضة العلوية بعد مقتل يحيى بن زيد ١٢٥ هـ الخارج في خراسان، وعبد الله بن معاوية الجعفري (١٢٩/٧٤٧)، وخوارج سجستان.

يبدو أن دور العباسيين كان كبيراً في تاريخ العلاقات العربية ـ التركية، وفي انتشار الإسلام في بلاد الأتراك. فبعد سقوط دولة الأتراك الغربيين، لم تشهد سهوب تركستان إمارة قوية توحد البدو، فانتهزت الصين تلك الفرصة، وقامت

(٣٥) تاريخ الطبري، ٧/٢٨٩ ـ ٩٠.
(٣٦) المصدر نفسه، ٧/٣٣٨ ـ ٩.

تسيطر على الأتراك الشرقيين، مستفيدة من تفرق الإمارات التركية وانشغال العباسيين في توطيد أركان حكمهم، لا سيما ضد حركات التمرد التي نشبت في إيران وبعض المقاطعات التركية.

اعتاد الأتراك أن يرسلوا بسفارات إلى الصين منذ عهود بعيدة، وأن يقبلوا ألقاباً تشريفية من حكومتها[٣٧]. ويؤكد النرشخي على قدم العلاقات بين بخارى والصين، فيذكر أنه جيء بابنة ملك الصين عروساً إلى بخارى، وكان بين جهازها معبد للأصنام من الصين وضعوه برامتين[٣٨]. وفي عام ٧٤٨ م استولى الصينيون على سوياب وخربوها[٣٩]؛ وفي العام التالي نفذوا حكم الإعدام بأمير الشاش، لعدم وفائه بشروط التبعية. ويذكر ابن الأثير أن خالد بن إبراهيم توجه إلى الختل فدخلها، ولم يمتنع عليه ملكها بل تحصن منه، فلما ألحّ عليها خالد خرج من الحصن هو ومن معه من دهاقين، حتى انتهى إلى أرض فرغانة، ثم دخلوا بلد الترك، وانتهوا إلى ملك الصين. ويذكر ابن الأثير أيضاً: في سنة ١٣٣ هـ تحالف أخشيد فرغانة وملك الشاش، فاستمد الأخشيد ملك الصين فأمده بمائة ألف

(٣٧) برتولد، تركستان، ص ٣١٥ - ٣١٦.

(٣٨) تاريخ بخارى، ص ٢١.

(٣٩) برتولد، ٣١٦، أيضاً،

CHAVANNES, *documents*, p 134.

مقاتل، فحصروا ملك الشاش، فنزل على حكم ملك الصين، وبلغ الخبر أبا مسلم فوجه إلى حربهم زياد بن صالح، والتقوا على نهر طراز، فظفر بهم المسلمون فقتلوا زهاء خمسين ألفاً وأسروا نحو عشرين ألفاً، وهرب الباقون إلى الصين، وكانت الوقعة في ذي الحجة سنة ١٣٣ هـ[٤٠]. وتذكر المصادر الصينية أن هذه الحملة كانت بقيادة KAO - HSEN-CHIH[٤١] وفي حوادث ١٣٤ هـ يذكر ابن الأثير غزو خالد بن إبراهيم أهل كش، فقتل الافريد ملكها وهو سامع مطيع، وقتل أصحابه، وأخذ منهم من الأواني الصينية المنقوشة المذهبة، ما لم ير مثلها، ومن السروج ومتاع الصين كله من الديباج[٤٢]. وكانت لهذه الانتصارات العربية أعظم النتائج. فقد بات على بلاد ما وراء النهر أن تواجه العرب معتمدة على قواتها الذاتية، كما كان عليها أن تقرر إلى أي من الحضارتين تنحاز.

أوكل العباسيون ولاية خراسان إلى أبي مسلم، وهو الذي قاد الثورة في منطقة المشرق وتحقق انتصار العباسيين على يديه، مما أكسبه مكانة عالية بين الأهالي. وأثارت نجاحاته مخاوف أسياده، فانتهى الأمر بمقتله

(٤٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (بيروت، د. ت) ٤/٣٤٢.
(٤١) برتولد، تركستان، ص ٣١٦.
(٤٢) ابن الأثير ٤/٢٤٣.

١٣٧ هـ/ ٧٥٥. وبات أنصاره أعداء ألدّاء للعباسيين يقاتلون تحت أي علم يقاتل ضدهم.

وقد اضطر ولاة العباسيين في خراسان حتى ولاية الطاهريين، إلى إخماد العديد من الثورات التي قام بها العرب والايرانيون. فبعد إخماد ثورة شريك المهري (١٢٣/ ٧٥٠) اندلعت في خلافة المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩/ ٧٧٥ ـ ٧٨٥) ببخارا سنة ١٦٠ هـ/٧٧٧ ثورة يوسف البرم(٤٣) التي كان مسرحها الأجزاء الشمالية الغربية من أفغانستان(٤٤). وبقيت سجستان مصدر قلق وفتن حتى عهد الطاهريين والسامانيين.

وفي بلاد ما وراء النهر اشتعلت ثورة لأتباع أبي مسلم، قادها إسحاق الترك الذي ادعى أنه خليفة زرادشت(٤٥). وثمة ثورة هامة شكلت خطراً على السلطة العباسية هي ثورة المقنع، هاشم بن حكيم الذي كان من أهل رستاق مرو وقضى عليه المهدي سنة ١٦٧ هـ/٧٨٣. ويبدو أن المقنع كان من قواد خراسان أيام أبي جعفر المنصور، كما أنه كان قائداً من قوات خراسان أيام أبي مسلم، وصار وزيراً لعبد الجبار الأزدي(٤٦). ونجح جماعة المقنع في السيطرة

(٤٣) تاريخ اليعقوبي، ٢/٤٧٨ ـ ٩.

(٤٤) برتولد، تركستان ٣١٩.

(٤٥) الفهرست، ٤٨٣.

(٤٦) النرشخي، تاريخ بخارى، ٩٤ ـ ١٠٤.

على كش وبخارى، حيث عاونهم بخاراخداة المدعو بنيات، كما دخل كثير من أهل السغد في دينه[٥٠].

ثم وقعت ثورة رافع بن الليث ١٩٠/٨٠٦م، الذي تمكن من استقطاب تأييد الأهالي وقتل والي سمرقند واحتلالها؛ بل إن أهل نسف كتبوا إليه بالطاعة، وسألوه المساعدة ضد الوالي، فأرسل إليهم «صاحب الشاش في أتراكه»[٤٨]، كما انضم إلى أنصار رافع أهل فرغانة وخجندة واشروسنة والصغانيان وبخارا وخوارزم والختّل، بل إن التغزغز والقارلوق والتبت أرسلوا إليه بأمدادهم[٤٩]. ولم ينجح العباسيون في إخماد نار هذه الثورة إلا في سنة ١٩٤/٨١٠ حينما كف الترك عن دعمهم لرافع، الذي قام في العام السابق بطلب الأمان من المأمون[٥٠].

من هذا يتبين أن الترك كانوا يتدخلون في الاضطرابات التي جرت في ما وراء النهر، وأن المتمردين أنفسهم كانوا يستدعونهم أحياناً. غير أنه لم تواجه العرب قوات تركية كبرى كتلك التي واجهتهم في العصر الأموي، لكننا بتنا نلاحظ وجودهم المكثف على حدود العالم الإسلامي

(٤٧) النرشخي، المكان نفسه.

(٤٨) الطبري، ٨/٣١٩ ـ ٢٠.

(٤٩) اليعقوبي ٢/٥٢٨.

(٥٠) الطبري، ٨/٣٧٣ ـ ٧٥.

الشرقية. فمنذ مطلع القرن السابع للميلاد تشكل من بين القبائل التركية الشرقية (تبي ـ لو) اتحاد من تسعة قبائل: توغوز ـ أوغوز، الذين ثاروا ضد امبراطورية الترك الغربيين، واشتركوا في تأسيس امبراطورية قبيلتهم الأساسية (الأويغور) وحين أخذت هذه الأمبراطورية في التوسع منذ القرن الثالث الهجري / التاسع للميلاد، تمكنت عناصر من هذه الجماعات من التمدد نحو الغرب وفقدت صلاتها مع اتحاد القبائل التسع، واكتسبت بعد اتصالها بقبائل جديدة، خصائصها المختلفة، مما جعل المؤلفين يطلقون عليها اسم الغزّ، فيما احتل التغزغز تركستان الشرقية (سنكيانغ)[٥١]. وفي القرن الرابع الهجري كان الغز يحتلون بكثافة مساحة يحدها من الجنوب بحر آرال والحوض الأدنى لنهر سيرداريا، وفي الغرب نهر أورال أو حوض الفولغا وبحر قزوين، وفي الشمال الشرقي المجرى الأعلى لنهر إرتيش. وكان يجاورهم بعض الشعوب التركية الأخرى. ففي الشمال كان يجاورهم الكيماكية، وهم فرع من القفجاق وفي الشرق جاورهم القارلوق (الخرلخ)، وفي الغرب جاورهم البجناكية ودولة الخزر، وفي الجنوب، وبخاصة على امتداد مجرى سيرداريا كانت بلاد المسلمين تشكل حدودهم. ويعتقد البعض أن

---

(51) CAHEN, GHUZZ, EI², *II*, PP. 1132 - 1136.

اسـم (تـوغـوز ـ أوغـوز) يحمـل اسم الأتـراك القـديم (طخارستان)(٥٢).

ولكن كيف كانت سياسة بني العباس في بلاد ما وراء النهر؟.

بعد فشل ثورة يوسف البرم (١٦٠ هـ/٧٧٧)، وجه المهـدي رسله إلى الملوك يدعـوهم إلى الطاعـة، فدخـل أكثـرهم في طـاعتـه، وكـان منهم أخشيـد السغـد وأفشين أشروسنة، وملك فرغانة، وجبغو الخرلخ (القارلوق) وخاقان التغزغز، وملك الترك وملك التبت، وامبراطور الصين(٥٣).

ونرى هنا ضرورة توضيح العلاقة بين العرب والتبت. لقد أدى ما قام في بعض الأذهان من وجود تشابه بين «تبت» و«ثابت» و«تُبَع»، إلى نشوء عدة قصص ترجع مملكة التبت إلى أصـل يمني(٥٤)، وهو مـا قبل بـه أبو دلف. ورغم أن الحوليات الصينية تشير إلى علاقات سلبيـة أو إيجابيـة بين العرب والتبت، لكن يبدو أن العرب قد فهموا أن التبت هي بلاد التبت الصغرى، أو «بلستان» القريبة من كشمير، والتي

(52) GHUZZ, EI², OP. cit, PP. 1134 - 5.

(٥٣) اليعقوبي، ٢/٤٧٩.

(٥٤) الطبري، ٦/٤٠٨ ـ ٩.

تصل إليها الطرق من ختن وبدخشان عن طريق وخان، ومنها يصدر المسك التبتي إلى العالم الإسلامي[٥٥].

تابع الرشيد وواليه الفضل بن يحيى حماية المناطق الإسلامية من هجمات الأتراك الخرلخ في فرغانة وإخضاع ملك أشروسنة[٥٦]، واضطر المأمون خلال إقامته بخراسان (١٩٣ - ٢٠٢/٨٠٩/٨١٨) لإرسال جيشه إلى السغد وأشروسنة وفرغانة، واقنع عماله الحكام المحليين في تقديم فروض الطاعة[٥٧]، وعلى العموم، فإن عهد المأمون عرف خضوع الترك للقوات النظامية. ولعل الحادث الذي يثير انتباهنا، هو انضواء أعداد كبيرة من العناصر التركية إلى الجيش العباسي في عهد المأمون، فقد اتخذ الفضل بن يحيى جيشاً من «العجم» قيل إن عدده بلغ الخمسمائة ألف أطلق عليهم اسم «العباسية»، وصل منهم إلى بغداد عشرون ألفاً[٥٨].

ويكتسب هذا الحادث أهمية خاصة في تاريخ العباسيين وتاريخ المشرق بعامة، فهؤلاء «العباسية» أريدوا

(٥٥) انظر، برتولد، «تبت»، دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٩، ص ١٦٨ وما بعدها.

(٥٦) برتولد، تركستان، ٣٢٣.

(٥٧) البلاذري، ٥٢٧، الطبري ٨/٤٠٤، ٥٨٠.

(٥٨) تاريخ الطبري، ٨/٢٥٧.

بديلاً عن «الخراسانية» الذين كانوا عماد الدولة، والذين أيدوا الأمين وقاتلوا المأمون، أما من نزل منهم بغداد، فلا شك أنهم كانوا نواة الجيش العباسي الجديد الذي بات الأتراك مادته الأولى منذ عهد المعتصم (٢١٨ ـ ٢٣٢ هـ)؛ وعلى صعيد المشرق، فلسوف يكون ذلك بداية لحركات الاستقلال التي بدأت بالطاهريين، الذين ساندوا قضية المأمون، ثم سوف نرى من بعدهم الصفاريين والسامانيين، وهم الذين جعلوا همهم نشر الإسلام وتوطيد أركانه في سائر بلاد المشرق[٥٩].

(٥٩) انظر البلاذري، فتوح ٥٢٨ ـ ٩.

٣ ـ السامانيون:

انخرط السامانيون في خدمة الدولة العباسية مثل الطاهريين. ولكنهم لم يرقوا إلى أكثر من حكم بلاد ما وراء النهر التي تتبع خراسان.

يرتقي نسب السامانيين إلى سامان خداة، وكان أجداده قبل الإسلام غالباً حكام ما وراء النهر[١]. ثم حط به الزمان واشتغل بالعيارة، وبعد مدة استولى على مدينة الشاش، وصار لابنه أسد منزلة في عهد المأمون، وولى أبناءه من بعده إمارة الولايات. فأعطى سمرقند لنوح بن أسد، وفرغانة لأحمد، والشاش لإلياس، وهراة ليحيى بن أسد، إلى أن أعطى الخليفة المعتمد جميع الولايات لنصر بن أحمد سنة ٢٦١ / ٨٧٤، وهو العام الذي دخلت فيه بخارا تحت حكم السامانيين[٢]. وشن أحمد هجوماً على أخيه إسماعيل فكان النصر لإسماعيل الذي سمح لأخيه نصر بالاستمرار بالولاية على بخارا ٢٨٢/٢٧٩، وصار الحكم لابنه أحمد بن

(١) حمد الله المستوفي، (تاريخ كزيدة)، منتخب منه في ذيل تاريخ بخارى، للنرشخي، ص ١٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٨، وبرتولد ٣٣٤.

إسماعيل من بعده (٢٩٥/٩٠٧) وهو الذي قضى على الدولة الصفارية[٣].

في هذه الفترة كانت الأخطار التي تهدد النفود العباسي تتمثل في سيطرة الحسن بن زيد في طبرستان والديلم ٢٥٠/٨٦٤، وبعده كانت سيطرة الزيدي الناصر الأطروش ٣٠١/٩١٣ - ٩١٤[٤].

وفي سجستان قاد المطوعة في جهودهم صالح بن النضر الكناني للإستيلاء على مقدرات هذه المقاطعة، لكن جهودهم لم تكلل بالنجاح، ثم خلفه درهم بن نصر فلم يفلح أيضاً، إلى أن آلت الأمور إلى يعقوب بن الليث الذي كان يعمل عند أحد صنّاع النحاس، ولذا عرف بالصفّار، والذي تمكن مع اخوته من أن يسيطر على سجستان ويقضي على الخوارج، وأن يؤسس لحكم أسرة جديدة (٢٥٤ - ٢٩٠ هـ)[٥]. تمكن يعقوب من أن يضم إليه ولاية بلخ وطخارستان، وانتزع من الخليفة اعترافاً بتوليته على خراسان وطبرستان وجرجان والري وفارس وشرطة بغداد[٦].

بز يعقوب سابقيه في تنظيم رجاله ودعم قوته بالسلاح

(٣) المستوفي، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٤) ابن الأثير، ٦١/٥.

(٥) الطبري ٤٧٦/٩.

(٦) المصدر نفسه، ٥١٦/٩.

والعتاد والسيطرة النفسية على أصحابه، حتى أطاعوه طاعة لم ينلها أي من زعماء المطوعة من قبل؛ فأصبح المطوعة طائفة منظمة مترابطة تطيع زعيمها طاعة عمياء(٧).

خلف عمرو بن الليث أخاه في الحكم (٢٦٥ ـ ٢٨٧/٨٧٩ ـ ٩٠٠)، وعينه الخليفة والياً على خراسان وفارس وإصفهان وسجستان وكرمان والسند(٨). ورأى أن يمد سلطانه إلى منطقة ما وراء النهر، حيث توطد سلطان السامانيين، وهنا سوف تكون نهايته في عهد إسماعيل بن أحمد.

مات إسماعيل في مدينة بخارى سنة ٢٩٥ هـ فخلفه ابنه أحمد بن إسماعيل الذي قضى على الدولة الصفّارية، إذ أسر السبكري غلام عمرو بن الليث وأسر أخاه محمد بن الليث. ولما قتل أحمد بن إسماعيل سنة ٣٠١ هـ/٩١٣ م) أقر الخليفة المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ) ابنه نصراً على بلاد أبيه الذي تمت رحلة أبي دلف في أيامه، والذي سوف نتوقف عنده بعد قليل. ولما توفي نصر بن أحمد سنة ٣٣١ هـ/٩٤٢ م) خلفه نوح بن نصر في خراسان وما وراء النهر. وقد تصدى لمطامع البويهيين والزياريين حتى توفي

(٧) المصدر نفسه، ٩/٥٤٩.

(٨) المصدر نفسه، ٩/٥٤٥.

سنــة ٣٤٣، فخلفــه عبــد الملك بـن نــوح حتـى مــات سنة ٣٥٠ هـ/٩٦١ م)، فآلت الإمـارة إلى أخيه أبي صـالح منصور. وفي عهده دبت الشيخوخة في جسم الدولة فقامت الثورة بسجستان والري.واحتدم النزاع مـع البويهيين، وانتهت الدولة بوفاة نوح الثاني بن نصر سنة ٣٨٧ هـ/٩٩٧ م.

هذه مساهمة واضحة من جانب الأتراك الغربيين في الحركة الاستقلالية التي عمت العالم الإسلامي كله في ذلك الوقت، وبدأ الأتراك الغربيون في ظل بني سـامان يلعبـون دوراً بارزاً في الحياة الإسلامية.

ومن أولى ثمرات الاستقلال الساماني فيما وراء النهر، تمكُّن الحركة الاستقلالية من البـلاد وانتصارهـا انتصاراً لا تقهقر بعده، وتمكن الثقافة العربية من البلاد وصيرورة الإقليم مركز إشعـاع ثقافي إسـلامي عظيم، امتـد أثره شـرقاً حتى الصين، وشمالاً حتى كاشغر، وغرباً حتى حوض الفولغا. يقول الثعالبي «كانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر»[٩].

وقد مهد السامانيون لذلك التطور الهام بسياسة داخلية نـاجحـة تهـدف إلى نفس الاتجاهــات التي سعى إليهـا

(٩) يتيمة الدهر، ٤/٢١، والمقدسي، ٣٣٧ ـ ٩، برتولد، تركستان، ٣٤٤.

الطاهريون من قبل، من استتباب الأمن واعتماد على تأييد شعبي شامل، ومن انعاش للحياة الاقتصادية بتشجيع التجارة والزراعة والصناعة. ويبدو أن السامانيين كانوا قد وصلوا بالحياة الاقتصادية فيما وراء النهر إلى درجة من الازدهار لم تشهدها البلاد(١٠).

هذا ويجمع المؤرخون على انبعاث نهضة إسلامية كبرى من مدارس ما وراء النهر خصوصاً من بخارى وسمرقند. ولا ننكر أن هذه النهضة ثمرة تطور طبيعي وضحت مظاهره منذ أيام الأمويين ووصل إلى القمة في ذلك العصر. ولا ننسى أن نذكر أن مستوى الرخاء ومظاهر الثروة تساعد على تشجيع الحركة العلمية ونموها. وقد أسهم السامانيون في هذا البعث بتشجيع الحركة العلمية وتقديرهم لرجال العلم. فعمل إسماعيل بن أحمد الساماني على توطيد سلطانه في بخارى بمعونة الفقهاء وقد أعفاهم من تقبيل الأرض بين يديه، وكان يختار نخبة من فقهاء الحنفية ورجال العلم في بخارى لأخذ رأيهم في المسائل الهامة(١١).

كان لحركة الإحياء الثقافية الفارسية التي اتخذت وجهاً إسلامياً في العصر الساماني أثراً بالغاً في تاريخ الحضارة

---

(١٠) انظر: الثعالبي: يتيمة الدهر، جـ ٤ ص ٣٣.

(١١) برتولد، تركستان، ٣٦١ - ٣٦٢.

الإسلامية فيما وراء النهر خاصة وفي تركستان عـامة. وقـد كانت تأثيرات المدنية الإيرانية تنفذ إلى ما وراء النهر لكن لم تتح لإيران الفرصة لإخضاع الأتراك الغربيين، أما السامانيون فقد فتحوا أمام الحضارة الإيرانية الإسلامية آفاقاً عـظيمة، فهي لم تنتشـر في إقليم مـا وراء النهـر فقط، إنمـا طبعت الأتراك الشرقيين بطابع فارسي واضح.

وفي ظل السامانيين اتحد الأتراك الإيرانيون مع الأتراك في آسيا الوسطى في دولة واحـدة، ربما للمـرة الأولى في تـاريخ المنـطقة، ونـزح كثيـر من الإيـرانيين واستقـروا في تركستان في ظل السامانيين، وبدأت اللغة الفارسية الجديدة، لغـة عصر الإحياء، تكسب عالم الأتـراك إلى جانب اللغـة العربية. بل نفذ هذا التأثيـر الفارسي في عهـد السامـانيين ومضى في طريقه شرقاً حتى وصل إلى حدود الصين[١٢].

والأمر الذي جعـل للسامـانيين مكانتهم الممتـازة في تاريخ الحضارة الإسلامية هو موقفهم من الأتراك الشرقيين. فقد كان هذا الموقف استمراراً للسياسة العربية القديمة التي وضحت في أول عصـر المـأمـون. لكن الإلحـاح العـربي المستمر لفرض السيادة في آسيا الوسطى فتر إلى حد كبير في عهد الطاهريين، فقد كان اهتمامهم بخراسان اهتماماً كبيراً، كما جنحوا إلى سياسة الدفاع وصد الهجمات وبناء الأسوار.

---

(١٢) برتولد المصدر نفسه، ٣٨٨، ٣٩١.

أما السامانيون فقد نبع نفوذهم الحقيقي من منطقة ما وراء النهر فطرحوا سياسة الدفاع وعمدوا إلى الهجوم فنفضوا أيديهم من سياسة بناء الأسوار، بل أهملوها ولم يجددوها، لأنهم كانوا يرون ان كلمة الإسلام لا ترتفع بين الأتراك الشرقيين إلا إذا ظهر العالم الإسلامي بمظهر القوي القادر[١٣].

ولم تكن سياسة السامانيين الهجومية على الشكل الذي رأيناه في العصر العباسي الأول، إنما كان هذا الهجوم أقرب إلى الغارات الخاطفة منه إلى أي شيء آخر. ولم يكن هدفهم أن يحصلوا على كسب أرضي كبير بقدر ما كانوا يهدفون إلى إرهاب الأتراك الشرقيين ووقف عدوانهم وإيقاع الرعب في قلوبهم. وقد قام السامانيون بحملات متلاحقة في مناطق البدو المحيطة بهم كتلك الحملة المشهورة التي نسبت إلى نوح بن أسد على منطقة اسبيشاب، التي كانت لا تزال بيد أسرة تركية تتمتع بامتيازات. وقام إسماعيل بن أحمد بحملة مشابهة على مدينة طالاس سنة ٢٨٠ هـ/٨٩٣ كما استطاع سنة ٢٩٢/٩٠٤ م ان يطرد الغزاة الترك بمعونة الذين خفوا إليه من كافة أرجاء العالم الإسلامي. وفي النصف الأخير من القرن الرابع للهجري وصلت هذه السياسة الهجومية إلى أقصى مدى لها، إذ قام السامانيون بحملة كبيرة

(١٣) برتولد تركستان، ٣٥٠.

على بلاساغون ووقع ابن خاقان الترك أسيراً في أيديهم. وقد فرض السامانيون سلطانهم على مناطق الأتراك الشرقيين بصورة لم تشهدها البلاد من قبل(١٤).

والدور البارز الذي قام به السامانيون ليس هو الجهاد فحسب إنما كسبهم عالم الأتراك الشرقيين للحضارة الإسلامية، الذين سيصبحون مادة للإسلام وقوة للحضارة الإسلامية. لقد كان السامانيون يطبقون سياسة الجهاد الحقة، السيف من ناحية والتبشير السلمي من ناحية أخرى؛ وتضافرت عوامل كثيرة لتحقيق ذلك الكسب الكبير، منها ذلك النشاط العظيم في ميدان الدعوة إلى الإسلام، لا سيما الجهود الكبيرة التي قامت بها مدارس ما وراء النهر في بخارى وسمرقند، والتي نشطت إلى أبعد الحدود في القرن الرابع الهجري عصر الدعوة الشاملة إلى الإسلام بين الترك. وقد اضطلع بهذه الدعوة المسلمون من الأتراك الغربيين وهم أكثر فهماً لأوضاع الترك وأعرف بلسانهم.

ومن الجهود التي بذلت في هذا السبيل جهود الفقيه أبي الحسن محمد بن سفيان الكلماتي الذي غادر نيسابور سنة ٣٤٠ هـ/٩٥١ م وقضى بعض الوقت في بخارى ثم رحل إلى ديار الأتراك الشرقيين ودخل في خدمة كبير

---

(١٤) الطبري، ١٠/٣٤، ٨١ - ٨٢، والمقدسي، ٢٧٥، وبرتولد، تركستان، ٣٣٧، ٣٩٢.

خاناتهم، ومات هناك سنة ٣٥٠ هـ[١٥]. ونضيف إلى ذلك جهود الفقيه أبي الحسن سعيد بن حاتم الذي رحل إلى ديار هؤلاء الترك ولقي حتفه هناك. هذا عدا المئات من أمثال هؤلاء الدعاة. وقد شهد هذا القرن التوفيق بين التصوف والفقه، الأمر الذي حمى الصوفية وأطلق يدهم في الميدان الديني.

وقد نشط الصوفية في بلادِ التركستان منذ عهد السامانيين. فتغلغل نفوذهم بين الأتراك الغربيين أولا، ثم انطلقوا إلى الأتراك الشرقيين.

وثمة عامل آخر كان له وزنه في انتشار الإسلام بين الأتراك الشرقيين، ونقصد به التجارة، وقد لعبت في هذا الميدان دوراً بارزاً. إذ المعروف أن الاحتكاك التجاري بين مناطق البدو وأماكن الاستقرار احتكاك طبيعي. فالبدو الترك كانوا ينظرون إلى البلاد المستقرة المزدهرة نظرة إكبار، وهي موردهم الطبيعي للمنسوجات أو غيرها من المصنوعات التي لا تتوافر في البيئات البدوية. ومناطق الاستقرار بدورها تتطلع إلى مناطق البداوة على أنها مورد طبيعي للمادة الخام والثروة الحيوانية[١٦].

---

(١٥) برتولد، تركستان، ٣٩١، واللباب في تهذيب الأنساب ١٠٧/٣.

(١٦) برتولد، تركستان، ص ٣٦٧.

وقد بدأ هؤلاء البدو أول الأمر يقبلون على أسواق المسلمين في بلاد ما وراء النهر ويألفون البضائع الإسلامية ويعتمدون عليها وتزداد حاجتهم إليها باستمرار. وكانوا يسوقون قطعانهم إلى المدن الواقعة على الحدود دون انتظار رحيل التجار إليهم[١٧].

وكانت تستهويهم من الإسلام هذه الجوانب المادية أولاً ثم يتبعون هذا الإعجاب بالمادة إلى العامل الفكري باعتباره العامل الموجه لهذه الحضارة المزدهرة، ثم تميل قلوبهم إليه فيدخلون فيه.

هذا القول يصدق على خانات الأتراك الشرقيين وطريقة دخولهم في الإسلام. فقد أعجبوا أول الأمر بأحوال المسلمين وحاصلاتهم وصناعاتهم وأتبعوا ذلك بالإعجاب بدينهم. ويبدو أن التجار المسلمين استغلوا هذه الصِّلة المتبادلة وقاموا بدور المبشرين. وليس من شك في أن التبشير كان يمضي جنباً لجنب مع النشاط التجاري. وكان لعلماء خوارزم دور حاسم في نشر العلم بين الأتراك[١٨].

كان التجار المسلمون من الأتراك يحملون المنتجات الإسلامية إلى اتجاهات متعددة عبر المسالك التي فتحها

---

(١٧) برتولد، المرجع نفسه، ص ٣٦٨.

(١٨) المرجع نفسه، المكان نفسه، أيضاً: المقدسي، ص ٢٨٤.

الصغد من قبل. وكانت أهم الطرق تلك المؤدية إلى بلاد الصين ومنها تفرعت شمالاً إلى ديار الأتراك الشرقيين. وكانت المسافة بين طالاس وديار الكيماك مسيرة واحد وثمانين يوماً.

وكان هنالك طريق آخر من إقليم طرخان حتى إقليم القرغيز وإلى حوض نهر ينسي الأعلى. وتحفل المصادر الإسلامية بالمعلومات عن الطريق المؤدي إلى القرغيز، ويبدو أن العرب اهتموا بهذا الطريق البري اهتماماً عظيماً، ولهذا أفاض الجغرافيون العرب في وصفه والإشارة إليه[١٩].

وقد وضحت سيطرة المسلمين على هذه الطرق التجارية منذ تمكن العباسيون من هزيمة الصين. وتشير الوثائق الصينية إلى أنه في القرن العاشر الميلادي نفذ التجار المسلمون شرقاً حتى منغوليا. وكان في مكنتهم أيضاً الوصول إلى بلاد الكيماك عن طريق آخر من المجرى الأدنى لنهر سيحون. كانت هذه المناطق خارج نفوذ السامانيين، ولكن المهاجرة أقاموا بها المراكز الصناعية. وكان بعض هؤلاء المهاجرة من خوارزم أيضاً. وقد جنت خوارزم أرباحاً طائلة عن طريق التجارة مع هؤلاء البدو[٢٠].

---

(١٩) ابن خرداذبة. ص ٢٥ - ٢٩، ٣٤ - ٤١.

(٢٠) برتولد، تركستان، ٣٦٧.

كان الأتراك كثيراً ما يحتكون بالمراكز التي انتشرت على حدودهم. وكانت الدولة في بعض الأحيان تجيز لبعض القبائل التركية عبور مناطق الحدود. وقد سمحت لبعض قبائل الغز بالمرابطة في مناطق الرعي من إقليم ما وراء النهر في مقابل التعهد بحماية الحدود، كما سمحت لفريق التركمان بزعامة سلجوق بن دقاق بالإقامة عند الأطراف الشمالية لنهر سيحون[٢١].

هذا الاحتكاك المستمر بهذه المستعمرات الإسلامية قرّب بين الأتراك الشرقيين وبين الإسلام. وليس من قبيل المصادفة أن تكثر المراكز المنتشرة خارج بلاد ما وراء النهر في العصر الساماني بالذات، فهو العصر الذي اندفعت فيه الدعوة الإسلامية بنجاح إلى أوطان الأتراك الشرقيين.

---

(٢١) ابن الأثير، ٧/٤٠٠، برتولد، تركستان، ٣٩٣.

٤ ـ عهد نصر بن أحمد:

بفضل النظام القوي، أمكن لدولة السامانيين أن تحتفظ بمقاليد الحكم إلى مائة عام، رغماً من أنه لم يظهر من بين أمرائها الذين اعتلوا العرش بعد إسماعيل من يمكن مقارنته به من حيث المقدرة. وكان أول من خلف إسماعيل ابنه أحمد الذي عرف بتقواه الشديدة، وفي عهده جعلت العربية اللغة الرسمية لرسائل الدولة[1]. ومن الجائز أن العطف الذي أبداه أحمد نحو عمال الدولة الذين كانوا يجيدون تلك اللغة قد كان من أسباب سخط رجال الحرس عليه، ففي ليلة الثالث والعشرين من كانون الثاني/يناير عام ٣٠١/٩١٤ قُتل الأمير في فربر على يد غلمانه. وتلا ذلك أن استولى حزب البلاط على السلطة، ثم اتهموا الكاتب أبا الحسن نصر بن إسحاق[2] بالتحريض على قتله وأعدموه. ونصّب الشيوخ وقادة الحرس[3] نصر بن أحمد

---

(١) النرشخي، تاريخ بخارى، ص ١٢٣، وتاريخ كوزيدة، ذيل تاريخ بخارى، ص ١٣٧.

(٢) النرشخي، تاريخ بخارى، ص ١٢٦.

(٣) برتولد، تركستان، ص ٣٧١.

(٣٠١ ـ ٣٣١) الذي كان في الثامنة من عمره أميراً. وما ورد على لسان ذلك الأمير الصبي[٤] يدل على أن قادة الحرس هم المسؤولون حقاً عن قتل أحمد. ثم أسندت مقاليد الأمور بالاتفاق مع ممثلي البلاط[٥] إلى الوزير أبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني الذي استطاع أن يعيد الأمور إلى نصابها[٦]، وذلك في تعاون وثيق مع قائد الجيش حمويه بن علي. وتم أولاً إخماد ثورة قام بها أخ لإسماعيل يدعى إسحاق بن أحمد بسمرقند، الذي اعتمد على مؤازرة أهالي تلك المدينة المتمردة، وقد هُزم إسحاق على يد قوات حمويه وقبل العفو الذي عُرض عليه ورجع إلى بخارا. أمّا ابنه إلياس فقد هرب إلى فرغانة وتم تعيين أحد أفراد الأسرة وهو حفيد لنصر الأول[٧] حاكماً على سمرقند. وهناك ابن لإسحاق، هو أبو منصور كان قد رفع لواء الثورة أيضاً ولكنه توفي بنيسابور[٨]، وعند وفاته تولى قيادة الثوار حليفه القائد الحسين بن علي المروزي، وكان الحسين هذا قد قام بخدمات جليلة للدولة أيام أحمد، ولكنه أحس بعد ذلك أن خدماته لم تجد ما تستحق من تقدير. ويبدو أن القائد المتمرد

---

(٤) ابن الأثير، ٦/١٤٥.

(٥) ابن الأثير، المكان نفسه.

(٦) النرشخي، ص ١٢٧.

(٧) الطبري، ١٠/١٤٧ ـ ١٤٨؛ ابن الأثير ٦/١٧٠.

(٨) النرشخي، تاريخ بخارى، ص ١٢٧، ابن الأثير، ٦/١٤٨ ـ ٩.

اعتمد على العناصر الشيعية، إذ يجعله النديم في عداد زعماء الحركة الشيعية[٩] هذا وقد فُوِّض أمر مقاتلته لأحد أفراد الطبقة الأرستقراطية وهو الدهقان المشهور أحمد بن سهل، فأسر الحسين في صيف عام ٣٠٦ هـ/٩١٨[١٠].

وبعد هذا مباشرة رفع أحمد نفسه لواء الثورة التي تم إخمادها في آخر عام ٣٠٧[١١] على يد حمويه بن علي. وتلا هذا فترة من الهدوء في البلاد دامت عشرة أعوام. أما التمرد الذي حدث بفرغانة عام ٩٢٢/٣١٠ على يد إلياس بن إسحاق، فقد أخمد في سهولة بفضل مهارة أبي عمر محمد بن أسد[١٢] الذي نصب كميناً لجيش إلياس بكتيبة صغيرة (ألفان وخمسمائة رجل) فشتت قواته، ويقال إن قوات إلياس بلغت ثلاثين ألف رجل. وهرب محمد بن الحسين بن موت، أكبر أنصار إلياس، إلى طراز، ولكن دهقانها قتله استجابة لرغبة حكومة بخارا. وبعد محاولة فاشلة لإشعال نار ثورة أخرى بمعاونة والي الشاش أبي الفضل بن أبي يوسف، هرب إلياس إلى كاشغر حيث حالف دهقانها طغان تكين. وبعد غارة فاشلة على فرغانة قبل إلياس آخر الأمر العفو الذي

---

(٩) الفهرست، ص ٢٦٦.

(١٠) ابن الأثير ١٤٩/٦.

(١١) ابن الأثير، ١٦٣/٦ ـ ١٦٥.

(١٢) ابن الأثير، ١٧٠/٦.

عرضه عليه ابن عمه ورجع من كاشغر إلى بخارا[١٣]. وحوالي ذلك الوقت دعي لتقلد الوزارة رجل من أشهر ساسة العصر الساماني هو الوزير أبو الفضل محمد بن عبيد الله البلعمي.

لقد حدثت حركة أخرى حوالي عام ٣١٨/٩٣٠ خلال رحلة نصر إلى نيسابور. فقد كان هناك ثلاثة من إخوة الأمير في الحبس بقلعة (قهندز) بخارا هم يحيى وإبراهيم ومنصور، واستطاعوا بمعاونة خبّاز يدعى أبا بكر أن يتصلوا بالعناصر الثائرة من بين الأهالي والعسكر ببخارى، فأُخرجوا من القلعة واستولوا على المدينة وأُعلن يحيى أميراً. وكانت العناصر الثائرة تتألف وفقاً لرواية ابن الأثير[١٤] «من الديلم والعلويين والعيّارين»، وفشلت هذه الحركة التي صار أبو بكر الخباز قائداً لجنودها، فقبض عليه جنود نصر وأُلقوه في التنور إلى أن مات[١٥]. وبعد صدامات مع يحيى أُعيدت الأمور إلى نصابها ومُنحت ولاية خراسان إلى أبي بكر محمد بن المظفر أمير الصغانيان، ومن بعده لابنه المشهور أبي علي أحمد بن محمد[١٦].

وثمة حركة شيعية أشد خطراً من تلك، حدثت في آخر

(١٣) المكان نفسه.

(١٤) المصدر نفسه، ٦/٢٠٥.

(١٥) المصدر نفسه، المكان نفسه.

(١٦) المصدر نفسه، ٦/٢٣٠.

عام لحكم نصر ومست شخص الأمير نفسه. وكنا رأينا مشاركة العلويين في حركات المعارضة للأمير نصر، وكان زيدية الديلم ضالعون في تحريض أخصام الأمير؛ لكن هذه المرة سوف يكون الطرف العلوي من الإسماعيلية. فقد استطاع دعاة الفاطميين اجتذاب الحسين بن علي المروزي إليهم، وخلفه على الدعوة محمد بن أحمد النسفي الذي حاول نشر النفوذ الفاطمي في ما وراء النهر. ووصلت دعوة النسفي إلى بخارى، حيث تمكن من اجتذاب بعض كبار موظفيها وقادتها، وسرعان ما صار الأمير «قرمطياً»[١٧].

واستجابة لطلب النسفي، وافق الأمير على دفع دية دم الحسين بن علي المروزي، الذي مات في حبس نصر الساماني، ومقدار تلك الدية مائة وتسعة عشرة ديناراً، في كل دينار ألف دينار، ليرسلها إلى الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله (٣٢٢ - ٣٣٤/٩٣٤ - ٩٤٦)[٨].

ولم يكن اعتناق الأمير مذهب الإسماعيلية ليرضي أهل الدين، الذين انضموا إلى حلفائهم التقليديين قادة الحرس التركي. وعرض الأتراك العرش على «الاسفهسالار الأكبر»، وتتلخص المؤامرة في أن يدعو الاسفهسالار بعلم نصر جميع قادة الجيش إلى مأدبة بمناسبة تجهيز حملة على

---

(١٧) برتولد، تركستان، ٣٧٤.

(١٨) الفهرست، ص ٢٦٦.

بلاساغون (التي وقعت قبل ذلك بوقت قصير في أيدي الكفار من الترك) ويقنعهم بالانضمام إلى صفه، ويأخذ يمين الولاء منهم ثم يعزل الأمير بمساعدتهم ويقضي على القرامطة، وقد وصل علم هذه المؤامرة إلى نوح بن نصر الذي رجا أباه أن يستعمل الحيلة لاجتذاب رأس المتآمرين، ثم أمر بقطع رأسه. بعد هذا ظهر الأمير وابنه في المأدبة أمام قادة الجيش وأعلن نصر أمامهم أنه على علم بمؤامرتهم، ثم أمر بالقاء رأس كبير المتآمرين أمامهم، وفي الوقت نفسه أعلن تنازله عن العرش من أجل نوح الذي لم يتهمه أحد بالردة. وبإزاء هذه المفاجأة لم يكن أمام القادة الترك إلّا الإذعان، وأمر نوح بوضع أبيه في الأغلال وأخذه إلى القلعة. ثم أعلن عقب هذا أن من اللازم قبل إرسال الجيش في حملة ضد الكفار أن تُستأصل أولاً شأفة الكفار داخل البلاد وأن توزّع أملاكهم، بما في ذلك أملاك الأمير المعزول، على المسلمين. وأعقب ذلك مذبحة عامة شملت جميع «ملحدي» ما وراء النهر وخراسان مبتدئة بشخص النسفي وأتباعه من وجوه القوم، وفي الوقت نفسه اتخذت التدابير للحيلولة دون المساس بدماء المسلمين، مما يلجأ إليه عادة أصحاب الإحن في مثل هذه الظروف. ومنذ تلك اللحظة لم تستطع المعارضة الشيعية البقاء ببلاد ما وراء النهر إلا خفية[19].

---

(١٩) برتولد، تركستان، ٣٧٥.

غير أن صاحب الفهرست يروي قصة إخماد الحركة الشيعية الإسماعيلية بطريقة أخرى. فهو يقول إن السبب الرئيس لتوبة نصر كان مرضاً ألزمه الفراش، مما جعله يعتقد أن ذلك كان عقاباً من الله. وقبل وفاته استطاع أن يبيّن كل ذلك لابنه نوح الذي استدعى النسفي عند اعتلائه العرش وأجرى مناظرة بينه وبين الفقهاء انتهت بإفحامهم إيّاه وبإثبات تهمة الزيغ عليه، وفضلاً عن ذلك فقد انكشف لنوح أن النسفي استولى على أربعين ألف دينار من جملة المال الذي كان مفروضاً دفعه دية عن وفاة الحسين فأعدمه هو واتباعه[٢٠].

إلّا أن المؤرخين لا يذكرون شيئاً عن انحراف نصر، ولكنهم يروون أنه توفي في سنة ٩٤٣/٣٣١ بداء الصدر بعد مرض لازمه ثلاثة عشر شهراً. وقبيل وفاته ابتنى نصر لنفسه صومعة قرب باب القصر وأمضى فيها كل وقته متعبداً[٢١]. وتزعم بعض الروايات أن نصراً قد اغتاله غلمانه مثل أبيه أحمد، وهذه المصادر الأخيرة تورد لوفاته تاريخاً مغايراً هو شهر رمضان ٣٣٠ هـ[٢٢] والأرجح أن هذا ليس تاريخ وفاته،

(٢٠) الفهرست، ص ٢٦٦ وانظر أنساب السمعاني: (الساماني).

(٢١) ابن الأثير، ٢٩٢/٦.

(٢٢) حمد الله قزويني تاريخ كزيدة، ذيل تاريخ بخارى، ص ١٤٢ حيث يعتمد شهر رمضان ٣٣٠ هـ.

إنما هو تاريخ تنازله عن العرش وانتقال السلطة الفعلية إلى يد ابنه نوح. ولعلّ قصة بناء نصر لصومعته تتفق مع هذا الحادث الأخير. ووفقاً لرواية النرشخي[٢٣] فإن نوحاً اعتلى العرش في أول شعبان ٣٣١/٩٤٣، أي بعد أيام العزاء الثلاثة المعهودة التي أقيمت للأمير الراحل. ويورد ابن الأثير[٢٤] أيضاً قصة إعدام محمد بن أحمد النسفي، ويزيد أن جثمان الداعي الشيعي قد سُرق من المشنقة ولكن سارقه لم يعرف. ويقدم ابن الأثير[٢٥]، قصصاً تتصل بحلم نصر غير المعهود، ومع هذا فقد وصلت إلينا أيضاً قصص أخرى[٢٦] تشير إلى أنه عرف بسورة الغضب الشديد حتى اضطر عملاً بنصيحة الوزير البلعمي والعميد المصعبي إلى إصدار قرار ينص على عدم تنفيذ أوامره المتصلة بالإعدام أو العقوبة المشدّدة بأية حال من الأحوال إلّا بعد مضي ثلاثة أيام على إصدارها، وإلى جانب هذا تم تعيين ثلاثة شيوخ مهمتهم الشفاعة لدى الأمير لمن حاق بهم غضبه. ولعلّ الدليل على أن هذا الإجراء لم يأت بالثمرة المرجوّة هو قول ابن الأثير[٢٧] بأنه

---

(٢٣) النرشخي، تاريخ بخارى، ص ١٢٩.

(٢٤) ابن الأثير، ٦/٢٩٣.

(٢٥) المصدر نفسه، ٦/٢٩٢.

(٢٦) تاريخ البيهقي، نقلة إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية (بيروت، ١٩٨٢)، ص ١١٠ - ١١١.

(٢٧) ابن الأثير، ٦/٢٩٢.

عند وفاة نصر لم يكن بقي من مشايخ دولته أحد على قيد الحياة «فإنهم كانوا قد سعى بعضهم ببعض فهلك بعضهم (أي ُعلى يد الأمير) ومات بعضهم (أي توفاه الله)». ومن العسير القول إن أميراً ضعيفاً مات بالسل ولمّا يبلغ الأربعين ربيعاً كان بوسعه أن يقوم بدور فعّال في تسيير دفة الحكم، لهذا فإن الجوانب المشرقة من فترة حكمه يمكن ردها إلى وزيريه أبي عبد الله الجيهاني وأبي الفضل البلعمي. وفي القصة المتعلقة بتغيير نصر عقيدته وانقلاب عام ٣٣٠/٩٤٢، فليس هناك ما يكشف لنا عمّن كان على رأس الإدارة آنذاك، وعن الدور الذي قام به الوزير في تلك الأحداث. وقد صحب انتقال السلطة من يد البلعمي إلى يد أبي علي الجيهاني اضطراب في سير الجهاز الحكومي، ووفقاً لقول ابن الأثير، فإن هذا الحادث وقع عام ٣٢٦ هـ/٩٣٨. هذا وقد عاش البلعمي حتى العام ٣٢٩/٩٤٠[٢٨]، أما الجيهاني فقد مات عام ٣٣٠ هـ/٩٤١ - ٩٤٢ «تحت الهدم»[٢٩] الذي أحدثه الزلزال. وحتى إذا لم تكن لوفاة الوزير صلة مباشرة بثورة عام ٣٣٠ هـ فإنها على أية حال قد يسرت بلا شك انتصار رجال الدين والعسكريين.

(٢٨) السمعاني، تحت لفظ «البلعمي»، ابن الأثير، ٦/٢٨٢.

(٢٩) ابن الأثير، ٦/٢٨٩.

٥ ـ أبو دلف:

أبو دُلَف الخزرجي الينبوعي، مسعر بن مهلهل، وصفه الثعالبي في «يتيمة الدهر»[١] بأنه شاعر كثير الملح والظرف، مشحوذ المدية في الكدية، خنق التسعين في الإطراب والاغتراب، وركوب الأسفار الصعاب، وضرب صفحة المحراب بالجراب، في خدمة العلوم والآداب، وفي تدويخه البلاد، يقول من أبيات أنشد بها أبو الفضل الهمذاني:

وقد صارت بلادُ اللَّهِ ... في ظَعْني وفي حلّي
تغايرن بلبشي و ... تحاسَدْنَ على رَحْلي
فما أنزلها إلاّ ... على أنس من الأهل

اقتبس عنه النديم في ثلاثة مواضع أثناء حديثه عن الهند، ووصفه بأنه «كان جوّالة»[٢]. وذكره مرة أخرى بما يفهم منه أنه أخذ عنه مشافهة حيث يقول: «قال لي أبو دلف»[٣]، وفي المرة الثالثة، يذكره بقوله: «قال أبو دلف».

---

(١) يتيمة الدهر، ٣/٣٥٦.

(٢) الفهرست، ٤٨٦.

(٣) المكان نفسه.

ونقل في اقتباس آخر خبراً عن الصين وعاصمتها خمدان[٤]. وهذا يؤكد أهميته كرحالة.

أما قصديته الرائية التي نشرها الثعالبي في مدح بني ساسان فهي لا تعكس مزاج أبي دلف، فحسب، بل تعكس الوضع السياسي والإجتماعي الذي كانت تعلنه الحياة السياسية والإجتماعية في القرن الرابع. فهي تمتدح حياة الصعاليك الذين يحتالون للقمة عيشهم أولاً، كما أنها تعكس تداعي الدور السياسي للعباسيين في المشرق، وتصنف الخليفة العباسي المطيع بين بني ساسان بعد أن سيطر البويهيون على مقدرات الخلافة.

لكن مساهمة أبي دلف الجغرافية كانت متميزة، أضافت إلى المآثر الثقافية عند السامانيين ذخيرة جيدة. ففي بلاد السامانيين بلغت الجغرافية العربية أوجها العلمي، على الرغم من أن العرب قد كشفوا قبل ذلك بزمن طويل عن عناية خاصة بوصف البلدان، يذكيها في جنوبي بلاد العرب بخاصة اعتزاز بالحضارة التي تمت لتلك الديار قبل الإسلام على ما نرى في كتاب «صفة جزيرة العرب» الذي وضعه الحسن بن أحمد الهمداني المتوفى في سجن صنعاء سنة ٣٣٤ هـ/٩٤٥. والواقع أن نظام البريد والاستعلامات

(٤) المصدر نفسه، ٤٩١.

الـذي اقتبسه الأمـويـون عن ملوك الفـرس الكبـار وتعهـده العباسيون الأولون بالتجويد والتوسيع، كان قد قـدّم للدولة منذ القرن الثالث/التاسع شبكة من المـواصلات أفـاد منها أصحاب الوظائف في الأمبراطـورية. كـذلك عُنيت الكتب المؤلفة في الخراج بالتنظيم الامبراطوري. وفي بغداد، مركز التجارية العالمية في ذلك الحين، نشأ اهتمام كبير بشؤون البلدان والأمبـراطوريّـات والشعوب الأجنبيـة، بـرز بصـورة خاصة في مؤلفات الجاحظ الجغرافية المفقـودة. وفي بلاد إسماعيل السـاماني ألف الـوزير الجيهـاني كتابـاً لم يصلنا أيضاً، استطرد فيـه من بحث الضرائب إلى وصف البلدان المجاورة. ثم إن أبا زيد البلخي، وكان في خدمة إسماعيل ببلخ، وضع مصوراً جغـرافياً وجعله ذيـلاً لأطلس إسلامي قديم موضوع على أساس كتاب اقتبسه الخوارزمي، قبل عام ٢٣٢/٨٤٦ عن جغرافية بطليموس. والواقع أن كتاب أبي زيد كان أساساً للأثر الهام الذي وضعه المقدسيّ الشافعي الـذي أشاع الحيـاة سنة ٣٦٧ هـ/٩٧٨ في هـذا المصـور الجغرافي، بما وضعه عليه من دراسة بارعـة، من الوجهـة الأدبيـة، ومواد جمعهـا من رحلاتـه الشخصية في البلاد الواقعة في حوزة كل من السامانيين والفاطميين[٥]. بيد أن المسعودي المتوفى في مصر سنة ٣٤٦/٩٤٦ كان أوسع منه

(٥) انظر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣ ـ ٤، وما بعدها.

أفقاً فقادته شهوة الترحال، بطريق الهند، إلى سيلان والبحر الصيني. ومع ذلك فلم يكن يعتبر نشاطه في ميدان الجغرافية إلا أساساً يقيم عليه مؤلفاته التاريخية المسهبة التي لم يصلنا منها غير القليل.

وإلى جانب هذه المؤلفات المتخصصة توجد مؤلفات ذات طابع وصفي، وإليها تنتسب «الرسائل» ومذكرات الرحالة، وفيها يتحدث أصحابها عن حياة البلاد والمدن التي صادفوها في تجوالهم. ويخالط معلومات المجموعات الجغرافية في أدب الرسائل والرحلات، موضوعات من الغرائب والعجائب. على أن المعلومات التي تضمنتها مثل هذه الرسائل والرحلات كانت موضع نقد ودراسة، أفاد منها الكثيرون في مجال دراسة الحياة الإجتماعية، كما لجأ البعض إلى دراسة تلك الخرافات، وقد استخرجوا منها خلفيات أو أصولاً لتلك الخرافات.

وإلى هذا النوع من المؤلفات تنتسب «رسالة أبي دلف الأولى» التي حفظها لنا ياقوت في «معجم البلدان»، واحتفظ لنا منها القزويني بمقتطفات في كتاب «آثار البلاد وأخبار العباد»، إذ يقتبس منها في أكثر من ستة عشر موضعاً وذلك أثناء حديثه عن البجناك وبلاد البغراج والكيماكية والغزية والتغزغز والخرخيز (قرغيزيا) والخطلخ والختيان وبهي وكله بار وصيمور، حيث يصف القزويني أبا دلف بأنه «صاحب

عجائب البلدان، وأنه كان سياحاً، وأخبر بعجائبها»[٦]، ويقتبس أيضاً معلومات عن جاجل وقشمير ومندوراقين وكولم ملي ويغانين.

وأخبار أبي دلف عن البلاد والشعوب غير الإسلامية، وعن القبائل التركية في آسيا الوسطى وعن الصين والهند، اقتطعت من تلك الأعمال وأخضعت للبحث والدراسة. والدراسة الأولى وضعت موضع الشك معلومات أبي دلف في الرسالة الأولى، بل ألقت ظلالاً من الشك في كون أبي دلف هو مؤلفها الحقيقي.

وفي عام ١٩٣٩ أعاد رور ـ صوير (Roher Sauer) دراسة وتحليل الرسالة الأولى، ووضع موضع الشك ما ذهب إليه بعض العلماء من نفي المعلومات والتصورات الإضافية. وأخيراً قام كلود كاهن وزاد من الثقة بمعلومات أبي دلف، مستفيداً من أبحاث صوير وكراتشكوفسكي وبرتولد[٧]. وما يشوب هذه الرسالة، هو الظن بأن معلوماتها لم تدون في حينها، بل كتبت في وقت بعد أن تمت الرحلة، اعتماداً على الذاكرة، ويشهد بذلك خط سير الرحلة الذي يبدو مشوشاً، وعدم ذكر الأماكن الهامة التي يمر بها، بعكس

---

(٦) أخبار البلاد ٩٧، وفي أماكن أخرى.

(٧) انظر GHUZZ, in, EI(2), II.

الرحلة الثانية التي تضم تفاصيل كثيرة، علماً بأن المصادر العربية السابقة والمعاصرة واللاحقة قد توقفت عند أهم معالم الطرق التي كانت تسلكها قوافل التجار، فيما تغيب معالم طريق الحرير بشكل شبه تام، التي تذكر الرحلة بعض محطاتها الرئيسية مثل (الختيان).

وتتصف الرسالة بقلة كلام أبي دلف عن نفسه، فيما تكاد تغيب نهائياً المتاعب التي لقيها في الرحلة أو الاتصالات التي قام بها، ومع ذلك يجعل الغرض العلمي من الرحلة متراجعاً لتحل محله الرغبة في تسلية راعيه وحاميه، وكذلك العلاقة المباشرة لأبي دلف مع نشاطات «بني ساسان». ولعل ذلك مرتبط بأدب الرحلات عند المقدسي، الذي أفاض في الحديث عن متاعبه ومقاربته للعيارين وقطاع الطريق؛ هذا بالطبع مع اختلاف الأغراض التي أشار إليها المقدسي عن أغراض أبي دلف[8].

ونظراً لطابع الرحلة فقد شكك النديم في معلومات أبي دلف عن حجم عاصمة الصين[9]، كما شكك ناسخ الرسالة[10] بخبر موت نصر وتبنى ياقوت الحموي هذا

---

(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٤٤.

(٩) الفهرست، ٤٩١.

(١٠) رسالة أبي دلف.

الشك[11]. إلى ذلك تتضمن الرسالة معلومات يبدو أنها منقولة عن كتب «العجائب» التي تتضمن أخباراً عن النباتات الطبية والصيدلية والعطور، كما أنها تتضمن معلومات عن الصناعات الكيميائية، نرجح أنه استقاها من غير مصادرها.

ويبدو من ثنايا هذه «الرسالة» أن الرحلة تمت قبل وفاة الساماني نصر بن أحمد ٣٣١ هـ/٩٤٣م عن عمر ٤٠ سنة[12]، ونرجح أن كتابتها كانت بعد ذلك الوقت، ذلك أن هذه الرسالة خلت من أي تاريخ، كما أن طابعها يشير إلى أنها لم تكتب بصيغة مذكرات يومية؛ وأن جمعها في مخطوط مشهد إلى جانب «الرسالة الثانية» يرجح انهما كتبتا معاً في حدود ٣٤٤ هـ. ومما يدفعنا إلى الظن بذلك ما ذكره من قصة وفاة نصر. لقد ساق أبو دلف قصة موت الأمير ومعرفته بيوم وفاته، وبناءه مقبرته، ووصف احتفال أهل بخارى بجنازته، التي تمت في غياب الكاتب؛ ولم يذكر شيئاً عن اعتزاله الحكم أو مقتله، وهي الأخبار التي رجحها المؤرخون. وقد شكك ناسخ المخطوط بصحة الخبر، كما تبنى ياقوت هذا الشك. لكن القصة تؤكد على أمرين: أن الأمير كان مصاباً بالسُّل وأنه مات بدائه؛ ثم ميله إلى الزهد.

ولدينا سبب أخير، هو أن أبا دلف يذكر أن أمير

---

(١١) معجم البلدان: «الصين».

(١٢) النرشخي، تاريخ بخارى، ص ١٢٨ - ١٢٩.

سجستان عند زيارته لها كان أبو جعفر أحمد بن محمد، الذي تولى الإمارة على البلاد بين ٣٠٩ ـ ٣٤٤ هـ تقريباً؛ ولو كان أبو جعفر قد مات قبل هذا التاريخ لكان أشار إلى ذلك بما يفيد، وبخاصة أن أبا دلف يثني على الأمير الصفاري ثناء جميلاً.

٦ ـ تحقيق المخطوط:

يتألف هذا المخطوط من ١٦ صفحة، (الصفحات ٣٤٧ ـ ٣٦٢) من المجموع الذي نشره فؤاد سزكين مصوراً عن مخطوط مشهد رقم ٥٢٢٩؛ وتتضمن الصفحة تسعة عشر سطراً كتبت بخط نسخي.

في تحقيقنا للنص اعتمدنا ما كتبه ياقوت في معجم البلدان تحت مادة «الصين» واعتبرناه نسخة ثانية، ذلك أن ياقوت نقل مضمون هذه الرسالة نقلاً تاماً، مع بعض الاختلافات اليسيرة التي تقع عادة في نسخات المخطوط، واشرنا إلى تلك الاختلافات في مواضعها كما رجعنا في التحقيق إلى مقتبسات القزويني في «آثار البلاد» عن أبي دلف والتي صرح بها أحياناً؛ أما المعلومات التي اقتبسها القزويني ولم يصرح بمصدره، فدلتنا المقارنة على اقتباسه من رسالة أبي دلف.

لذا، فقد لجأنا إلى المقارنة مع ما ورد في كل من المصدرين أعلاه، كما قمنا باستدراك ما سقط من كلمات ووضعها بين حاصرتين.

وفي ختام حديثنا، لا بد من ابداء كلمة شكر لدار النشر بشخص راعيها الأستاذ نزيه بعلبكي، والأستاذ يوسف نابلسي، الذي دأب على إخراج ومراجعة هذا الكتاب.

وأخيراً نستميح القراء عذراً فيما قصرنا فيه، ونسأل الله المغفرة.

المحققان

ملك هراة وبوشنج وباذغيس نراران ومالك كش والرخج بندون ملك ما وراء النهر شارشاه اما ملوك الترك ... خاقان جبغوين شابه خاقان سنجبر خاقان ... تم الكتاب بحمد الله تعالى الى هاهنا تاليف احمد بن محمد بن اسحق الهمذاني المعروف بابن الفقيه من كتاب اخبار البلدان والحمد لله رب العالمين و صلى الله على نبيه محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين

وذكر نحن في هذا المواضع اشيا من اخبار البلدان لم يذكر فيها رسالتين كتبهما الينا ابو دلف مسعر بن المهلهل الشاعر حكى في احدهما اخبار الترك والهند وغيرهما مشاهدة ذلك ومع الاخرى اشيا راها وشاهدها في عدة من البلدان حقوها ان نرسم في هذا الكتاب اذ كانت من فنه ومن ذلك ايضا كتابا جمعه احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمن الهاشمي في اخبار الترك والخزر والروس والصقالبة والباشغرد وغيرهم مما وقف عليه ونظر اليه لان المقتدر بالله انفذه الى بلاد الصقالبة في سنة تسع وثلثماية باستدعا ملكهم ذلك رغبته في الاسلام فحدث بجميع ماشاهد في هذه البلدان بمعاينته ونظره وصلى الله على محمد نبيه المصطفى وسلم تسليما

الرسالة الاولى كتب الينا ابو دلف مسعر بن المهلهل الشاعر في ذكر ماشاهده وراه في بلاد الترك والهند والصين انى لما رايتكما ياسيدى ومولاى ومن انا عبدهما اطال الله بقاكما لهجين بالتصنيف مولعين بالتاليف احببت ان لا اخلى دستوركما وقانون حكمتكما من فايدة وقعت الى شاهدتها ولطيفة رمت بى الايام اليها ليروق معنى ما انتظما نه السمع ونصره الى استيفا قراته القلب ...

بداية الرسالة الأولى من مخطوط مشهد صفحة ٣٤٧

مدينه يقال لها قشمير كبيرة عظيمة لها سور وخندق محكمان يكون مثل نصف سندابل مدينة الصين وملكها اكبر من ملك كله وانم طاعة ولهم اعياد في رووس الاهلة وفي نزول النيرين شرفهما ولهم رصد كبير في بيت معمولة من الحديد الصيني لا يعمل فيه الزمان ويعظمون الثريا واكلهم البر وياكلون المملح من السمك ولا ياكلون البيض ولا يذبحون ٥ وسرت منها الى كابل فسرت شهرا حتى وصلنا الى قصبتها المعروفة بطاباز وهي مدينة في جوف جبل قد استدار عليها كالحلقة دون ثلثين فرسخا لا يقدر احد على دخوله الا بجواز لان له مضيق قد غلق عليه باب ووكل به قوم يحفظونه فما يدخله احد الا باذنه ٥ والهليلج كثير جدا في هذه المدينة وجميع مياه القرى والرساتيق التي داخل الجبل تخرج من المدينة وهم يخالفون ملك الصين في الذباحة وياكلون السمك والبيض ويولمون الحيوان ويقتل بعضهم بعضا ولهم بيت عبادة ٥ وخرجت من كابل الى سواحل الهند فسرا فصرنا الى بلد يعرف بمندوبين غياضه القنا وشجرة الصندل ومنه يحمل الطباشير وذلك ان القنا اذا جف وهبت به الرياح لخك بعضه ببعض واشتدت فيه الحرارة للحركة فانقدحت منه نارا فربما احرقت مسافة خمسين فرسخا او اكثر من ذلك فهو الطباشير الذي يحمل الى ساير الدنيا من حريق ذلك القنا فاما الطباشير الجيد الذي يساوي مثقاله مايه مثقال او اكثر فهو شي يخرج من جوف القنا اذا هزت وهو عزيز جدا ومانفخر من صفات الطباشير حمل الى ساير البلدان وبيع على انه التوتيا الهندي وليس كذلك لان التوتيا الهندي دخان الرصاص القلعي ومقدار ما يرتفع في كل سنة مقدار ثلثة امنا او اربعة او خمسة لا يجاوز ذلك ويباع المن منه بخمسه الف درهم الى

صفحة ٣٥٨ من مخطوط مشهد

الى الف دينار. وخرجت منها الى مدينة يقال لها الكولم واهلها بيت عبادتهم وليس

فيه صنم ولا تمثال وبها منابت الساج وهي شجر مفرط العظم والطول وربما جاز المائة

ذراع واكثر والخيزران بها كثير جدا وكذلك القنا وبها شي من السندروس قليل غير

جيد والجيد منه ما بالصين وهي ينبع على باب مدينتها الشرقية والسندروس من الجبال

واجلها وهو مغناطيس يجذب كل شي اذا احمي بالدلك وعندهم الحجارة التي تعرف بالسندابيه

يعمل بها السيوف واساطين بيوتهم من خرز اصلاب السمك الميت ولا ياكلونه و

لا يذبحون واكثرهم ياكل الميتة واهلها يختارون للصين ملكا اذا مات ملكهم وليس

للهند طب الا في هذه المدينة وبها يعمل غضائر يباع في بلداننا على انه صيني وليس

هو صيني لان طين الصين اصلب منه واصبر على النار وطين هذه المدينة الذي

يعمل منه الغضار المشبه بالصيني يخمر ثلثة ايام لا يحتمل اكثر منها وطين الصين

يخمر عشرة ايام ويحتمل اكثر منها وخزف غضائرها اوكن الدهن وما كان من الصين

وغيره من الالوان شفافا وغير شفاف فهو معمول في بلد فارس بالحصى وكلس

القلعي والاسرب والزجاج يعمل على البولس وينفخ ويعمل بالماسك كما ينفخ الزجاج

مثل الجامات وغيرها من الاواني من هذه المدينة يركب الى عمان وبها راوند ضعيف

العمل والصيني اجود منه والراوند فرع يكون هناك ودرنه الشاذج الهندي والهما

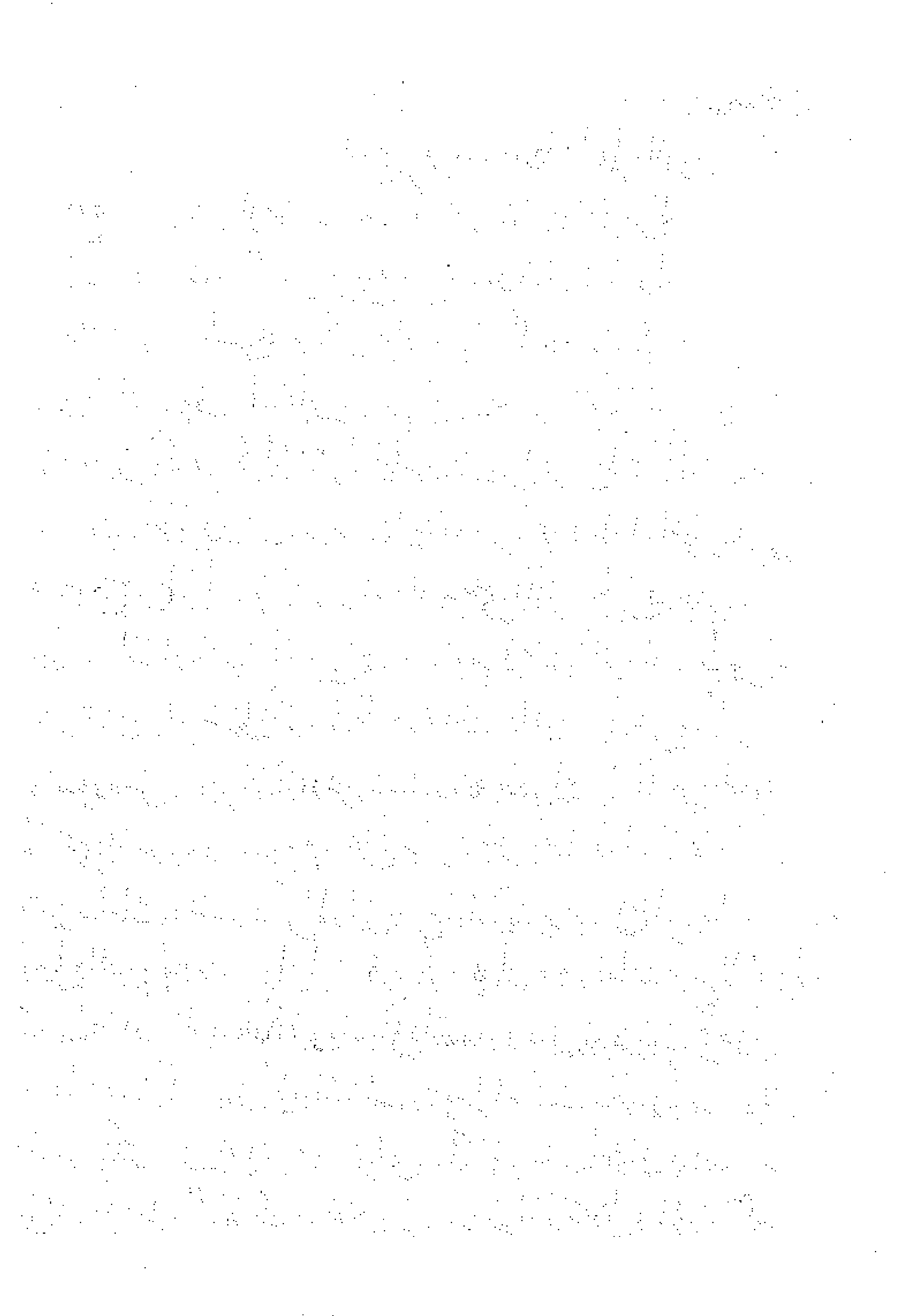
تصب اصناف العود والكافور واللبان والقتار واصل العود ينبت في جزاير وراء

خط الاستوا ما وصل الى منابتها احد ولا يعلم احد كيف نباتها وكيف شجرها ولا يصف

انسان شكل ورق شجر العود وانها ياتي به الما الى جانب الشمال فما انقلع رمى به

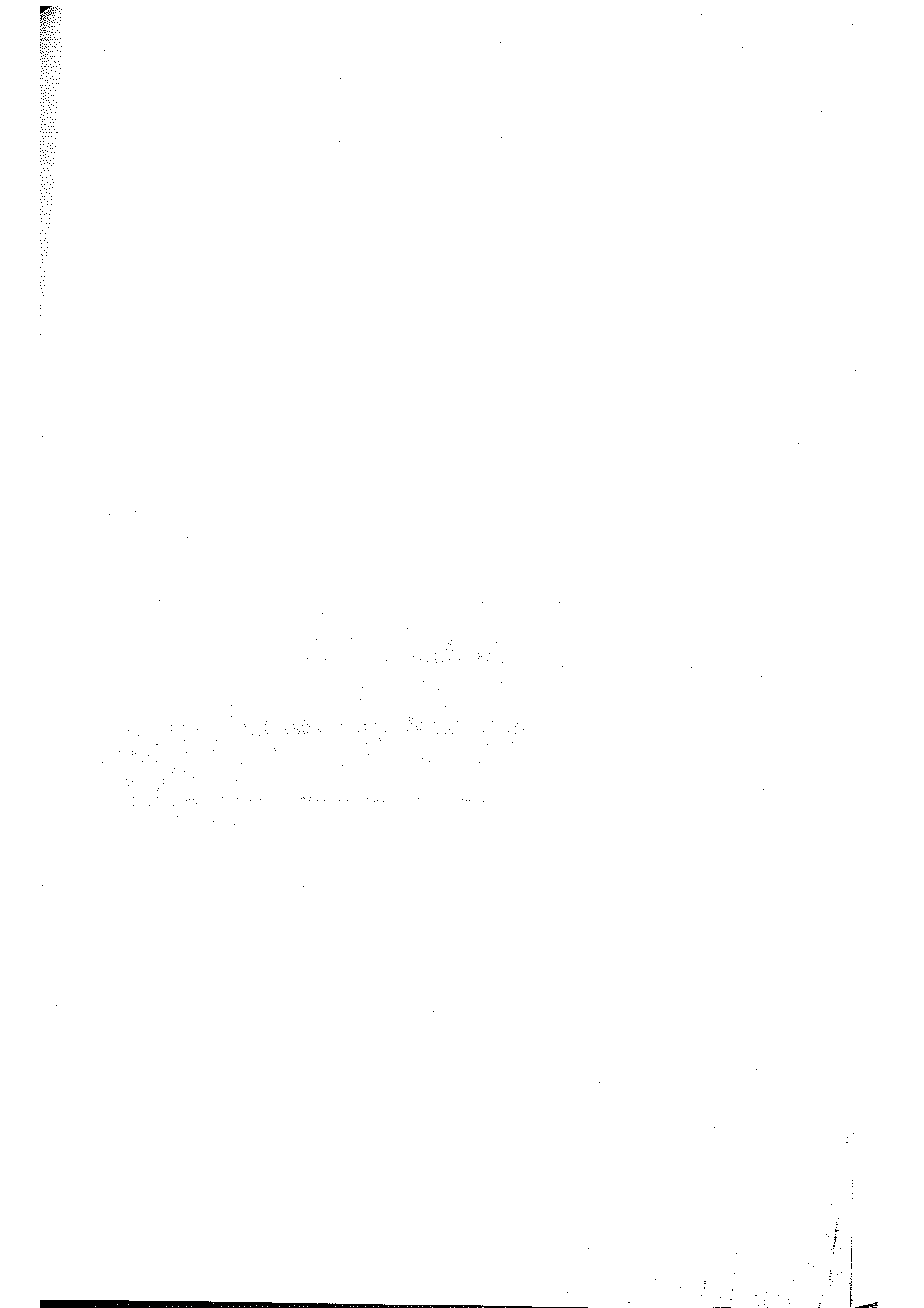
الى الساحل رطبا فاخذ بجلة او يتلعون ويابسا في بلدان الفلفل وبالصنف وقمار بين

صفحة ٣٥٩ من مخطوط مشهد



النص المحقق

رسالة ابي دلف الاولى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كتب إلينا أبو دُلف مِسْعَر بن المهلهل البنازعي[1] في ذكر ما شاهده ورآه في بلد الترك والهند والصين:

إني لما رأيتكما يا سيديّ ومولايّ، ومن أنا عبدهما، أطال الله بقاءكما، لهجيْن بالتصنيف، مُولعيْن بالتأليف، أحببت أن لا أخلي دستوركما وقانون حكمتكما، من فائدة رفعت إليّ مشاهدتها[2]، وأعجوبة رَمَتْ بي الأيام إليها، يروق معنى ما تنظمانه[3] السمع، ويصبو إلى استيفاء قراءته القلب.

(١) في الأصل: مسعود بن المهلهل البنازعي؛ وفي الصفحة نفسها يقدم جامع المخطوط المؤلف على أنه: مسعر بن المهلهل البنازعي؛ ولفظ «البنازعي» ليس في معجم البلدان ٣: ٤٤٠؛ أما فؤاد سزكين في تقديمه للمجموع فيذكر أنه «مسعر بن المهلهل الينبوعي»؛ وكذا ذكره ابن النديم والثعالبي.

(٢) في الأصل: «مشاهدتهما»، والتصويب من معجم البلدان.

(٣) في معجم البلدان: «ما تتعلمانه».

//٣٤٨ وبدأت // بعد حمد الله، والثناء على أنبيائه، بذكر المسالك المشرقية واختلاف السياسة فيها، وتباين ملكها، وافتراق أحوالها، وبيوت عباداتها، وكبرياء ملوكها، وحلوم قوّامها، ومراتب أولي الأمر والنهي لديها. لأن معرفة ذلك زائدة في البصيرة، واجبة في السيرة، قد خص الله عزّ وجلّ عليها أولي التيقظ والاعتبار، وكلفه أهل العقول والأبصار، فقال جل اسمه: ﴿أو لم يَسيروا في الأرْضِ فينظروا كيف كانت عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدُّ قوّةً وأثاروا الأرض وعَمَرُوها أكثر مما عَمَرُوها وجاءتهم رُسُلهم بالبينات، فما كان اللَّهُ ليظْلِمَهُم ولكن كانوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون﴾[٤]. فجعله أمراً مفترضاً والوقوف على ما بعد من الآثار حتماً لازماً.

وإني لأظنكما توخيتما في ما هذه سبيله الأجر، وأردتما جميل الذكر[٥]، فرأيت معاونتكما بما وشج بيننا من الإخاء، وتأكد من المودّة[٦]، وسألت أحسن التوفيق، وتجنبت الزلل، وهو وليّ إسعادي بحرمته من ذلك، وهو العزيز الحكيم.

---

(٤) سورة الروم، آية: ٩.

(٥) وردت الآية الكريمة مختصرة عند ياقوت، وما بعدها إلى هنا لم يرد عنده.

(٦) في معجم البلدان: «من المودة والصفاء»، وما بعدها لم يرد فيه.

ولما نبا عني[7] وطني، ووصل بي السير إلى خراسان ضارباً في الأرض، أبصرت ملكها، والرسوم بإمارتها، نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد[8]، عظيم الشأن، كثير السلطان[9]، يستصغر في جنبه أهل الطَّوْل، وتخفُّ عنده موازين ذوي القدرة والحَوْل، ووجدت عنده رسل قالين بن الشخير، ملك الصين، راغبين في مصاهرته، طامعين في مخالطته، يخطبون ابنته، فأبى ذلك واستنكره من حظر الشريعة له. فلما أبى ذلك، راضوه على أن يزوج بعض ولده ابنة[10] ملك الصين، فأجاب إلى ذلك. واغتنمت قصد الصين معهم، فسلكنا بلد الأتراك.

فأول قبيلة وصلنا إليها، بعد أن جاوزنا خراسان وما وراء النهر[11] من مدن الإسلام، قبيلة تعرف بالخركاه[12]، فقطعنا[ها] في شهر نتغذّى بالبرّ والشعير.

---

(7) في معجم البلدان «نبابي». ونبا عني الشيء ينبو، أي تجافى وتباعد. ونبا بفلان منزله: إذا لم يوافقه، وكذلك فراشه (صحاح الجوهري: نبا).

(8) نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني: أمير بخارى، وقد لقيت في أيامه عزها. توفي ٣٣١هـ.

(9) في معجم البلدان: «كبير السلطان».

(10) في الأصل: «ابنت».

(11) في الأصل: «وما وراء النهرها».

(12) في الأصل: «يعرف بالخركاه»؛ وفي معجم البلدان: «في بلد =

ثم خرجنا إلى قبيلة تعرف بالطخطاخ(١٣)، فتغذّينا بالشعير والدخن، وأصناف اللحم، والبقول الصحرائية؛ وسرنا فيها عشرين يوماً في أمنٍ // ودعة؛ يسمع أهلها لملك الصين ويطيعونه ويؤدون الإمارة(١٤) إلى الخركاه، لقربهم من الإسلام، ودخولهم فيه، وهم يتفقون معهم في أكثر الأوقات على غزو من بَعُدَ منهم من المشركين. //٣٤٩

ثم وصلت إلى قبيلة تعرف **بالنجا**(١٥)، فتغذينا فيهم بالدّخْن والعدس والحمص، وسرنا بينهم شهراً في أمن. وهم مشركون، ويؤدون الإمارة إلى الطخطاخ ويسجدون لملكهم ويعظمون البقر، ولا يكون عندهم، ولا يملكونها تعظيماً لها(١٦).

وهو بلد كثير العنب والتين والزعرور الأسود، وفيه ضرب من الشجر لا تأكله النار، ولهم أصنام من ذلك الخشب.

= يُعرف بالخركاه». والخركاه كانت تعني: «الخيمة الكبير»، ثم أطلقت على سُرادق الملوك والوزراء.

(١٣) في الأصل: «بالطخناخ»، وسوف ترد عنه لاحقاً «الطخطاخ». وفي معجم البلدان: «بالطخطاخ»، وفي آثار البلاد ٤٨٠ «الطحطاح»، بدون إعجام.

(١٤) في معجم البلدان: «ويؤدون الإتاوة».

(١٥) كذا؛ وفي معجم البلدان «البجا»؛ وهي كذلك في آثار البلاد ٥٨٠.

(١٦) في آثار البلاد: «ويعظمون البقر، ولا يأكلونها تعظيماً لها».

ثم جزناهم إلى قبيلة تعرف **بالبجناك**، طوال اللحى، أولو أسبلة[١٧]، همج، يغير بعضهم على بعض، ويفترش الواحد منهم المرأة على ظهر الطريق، يأكلون الدخن فقط. فسرنا فيهم اثني عشر يوماً[١٨]. وأخبرنا أن بلدهم عظيم مما يلي الشمال وبلد الصقالبة، ولا يؤدون الخراج إلى أحد[١٩].

ثم سرنا إلى قبيلة تعرف **بالجكِل**[٢٠]، يأكلون الشعير والجلبّان[٢١] ولحوم الغنم فقط، ولا يذبحون الإبل، ولا يقتنون البقر، ولا يكون في بلدهم. ولباسهم الصوف والفراء، لا يلبسون غيرها؛ وفيهم نصارى قليل.

وهم صباح الوجوه، يتزوج الرجل بابنته وبأخته وسائر محارمه. وليسوا مجوساً، ولكن هذا مذهبهم في النكاح.

ويعبدون سهيلاً، وزحل، والجوزاء، وبنات نعش، والجدي. ويسمون الشعرى اليمانية رب الأرباب.

---

(١٧) في الأصل: «أولي أسبلة»؛ وانظر: آثار البلاد ٥٨٠.
(١٨) في الأصل: «اثنا عشر يوماً»، وانظر: آثار البلاد ٥٨٠.
(١٩) هذه المعلومات اقتبسها القزويني في آثار البلاد، ولم يشر إلى مصدره، فيما يقدم الشريف الإدريسي (نزهة المشتاق ٩٦٠) معلومات جديدة.
(٢٠) ضبطها ياقوت في معجم البلدان ٤٤١/٣ بفتح الجيم وسكون الكاف، وفي المصدر نفسه ١٤٨/٢ بكسرهما.
(٢١) الجلبان: البزَلّة.

وفيهم دعة، لا يرون الشر.

وجميع من حولهم من قبائل الترك تتخطفهم وتطمع فيهم.

وعندهم نبات يعرف بالكيلكان[٢٢]، طيِّب الطعم، يطبخ مع اللحم.

وعندهم معادن الباذزهر.

وجباه الخُتُوّ[٢٣] وهنّ بقر تكون هناك.

ويعملون من الدم والداذي البريّ نبيذاً يسكر سكراً شديداً[٢٤].

وبيوتهم من الخشب والعظام.

ولا ملك لهم.

فقطعنا بلادهم في أربعين يوماً في أمنٍ وقحط.

ثم خرجنا منهم إلى قبيلة تعرف بالبَغْراج، لهم[٢٥] أسبلة بغير لحى، يعملون بالرماح عملاً حسناً، // فرساناً ورجّالة. /٣٥٠

(٢٢) في معجم البلدان «الكلكان».

(٢٣) كذا؛ وفي معجم البلدان: «وحياة الحبق».

(٢٤) الداذي: نوع من الخمر.

(٢٥) في الأصل: «فهم»؛ وضبطها من معجم البلدان ٣/٤٤٢، وآثار البلاد ٥٨٠.

لهم ملك عظيم الشأن يذكر أنه علويّ، وأنه من ولد يحيى بن زيد[٢٦]. وعنده[٢٧] مصحف مذهب، على ظهره[٢٨] أبيات شعر، رُثي بها زيد عليه السلام، وهم يعبدون هذا المصحف، وزيد عندهم ملك العرب، وعلي بن أبي طالب إله العرب. ولا يملكون عليهم أحداً إلّا من ولد العلوي.

وإذا استقبلوا السماء، فهم مفتوحو الأفواه، شاخصو الأبصار، يقولون: إن إله العرب ينزل منها ويصعد إليها.

ومعجزة هؤلاء الملوك الذين يملّكونهم عليهم من ولد زيد أنهم ذوو لحىً، وأنهم قيام الأنف[٢٩]، عيونهم واسعة.

غذاؤهم الدخن ولحوم الذكران من الضأن. وليس في بلدهم بقر ولا معز.

ولباسهم اللبود، لا يلبسون غيرها.

ويرون حرق السودان بالنار[٣٠].

---

(٢٦) يحيى بن زيد: تابع ثورة أبيه زيد، واستشهد ١٢٥هـ في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

(٢٧) في آثار البلاد: «وعندهم».

(٢٨) في الأصل: «على ظهر».

(٢٩) في معجم البلدان وآثار البلاد: «قيام الأنوف».

(٣٠) العبارة لم ترد في معجم البلدان ولا في آثار البلاد.

فسرنا بينهم شهراً على خوف ووجل، وأدّينا إليهم العُشر في كل شيء كان معنا.

ثم صرنا إلى قبيلة تعرف بتُبَّت[٣١]؛ فسرنا فيها أربعين يوماً في أمن وسعة. يتغذون البر، والشعير، والباقلّى، وسائر اللحوم والسموك، والبقول، والأعناب، والفواكه. ويلبسون جميع اللباس.

ولهم مدينة من القصب كبيرة، فيها بيت عبادة من جلود البقر المدهونة، فيه أصنام من الختّو[٣٢] وقرون غزلان المسك[٣٣].

وبها قوم من المسلمين، واليهود، والنصارى، والمجوس، والهند.

ويؤدون الخراج إلى العلوي البغراجيّ. ولا يملّكون عليهم أحداً إلّا بالقرعة.

---

(٣١) وردت في أخبار البلاد ٧٩ ـ ٨٠ مختلفة كلياً، ولم ينقل عن هذه الرسالة، ووردت بصورة مختلفة أيضاً في معجم البلدان ٢/١٠ ـ ١١.

(٣٢) وردت عند ياقوت: فيه أصنام من قرون غزلان المسك بسقوط لفظ «الختو» والختوّ انظر (جباه «الخُتُوّ») هامش رقم ٢٣، ومعجم الحيوان، لأمين المعلوف ٢٠٦، ولعله وحيد القرن أو الكركدن. وانظر: ابن الأكفاني، نخب الذخائر ٧٩ ـ ٨٠. ويتوقف ابن بطوطة عند الكركدن متعجباً.

(٣٣) انظر: ياقوت ٢/١٠ ـ ١١.

ولهم محبس جرائم وجنايات، وصلاتهم إلى قبلتنا.

وصرنا منها إلى قبيلة تعرف بالكيماك[٣٤]، بيوتهم من الجلد، يأكلون الحمص، والباقلّى ولحوم ذكران الضأن، والمعز، ولا يرون ذبح الإناث منها.

وعندهم عنب، نصف الحبة أبيض، ونصفها أسود.

وعندهم حجارة هي مغناطيس الماء، يستمطرون بها متى شاءوا. ولهم معادن ذهب في سهل من الأرض، يجدونه قطعاً. وعندهم ماس يكشف عنه السيل؛ ونبات حلو الطعم، ينوّم ويخدّر.

ولهم قلم يكتبون به.

وليس لهم ملك، ولا بيت عبادة، // ومن جاوز عندهم ثمانين سنة عبدوه، إلّا أن تكون به عاهة أو عيب ظاهر. ٣٥١//

فكان مسيرنا فيهم خمسة وثلاثون يوماً.

ثم انتهينا إلى قبيلة يقال لهم الغزّ[٣٥]، لهم مدينة من الحجارة والخشب والقصب.

---

(٣٤) معجم البلدان ٣/٤٤٢، وآثار البلاد، ٥٨٨، ويقتبس عن أبي دلف، ونزهة المشتاق ٧١٨ حيث يقدم معلومات جديدة.

(٣٥) معجم البلدان ٣/٤٤٢، وآثار البلاد ٥٨٧ ـ ٥٨٨ وينقل عن مسعر أبي دلف، ونزهة المشتاق ٨٤١، ٨٤٢.

ولهم بيت عبادة ليس فيه أصنام.

ولهم ملك عظيم السلطان يستأدي منهم الخراج.

ولهم تجارات إلى الهند وإلى الصين.

ويأكلون البرّ فقط، وليس لهم بقول. ويأكلون لحوم الضأن والمعز الذكران والإناث.

ويلبسون الكتان والفراء، ولا يلبسون الصوف. وعندهم حجارة بيض تنفع من القولنج، وحجارة حمراء، إذا مرّت على السيف لم يقطع شيئاً.

وكان مسيرنا فيهم شهراً في أمنٍ وسلامة.

ثم انتهينا بعدهم إلى قبيلة يقال لها: التغزغز[٣٦]، يأكلون المذكّى وغير المذكّى، ويلبسون القطن واللبود.

وليس لهم بيت عبادة، وهم يعظمون الخيل، ويحسنون القيام عليها.

وعندهم حجر تقطع الدم[٣٧] إذا علقت على صاحب الرعاف والنزف، ولهم عيد عند ظهور قوس قزح، وصلواتهم إلى مغرب الشمس.

---

(٣٦) معجم البلدان ٣/٤٤٢، وآثار البلاد ٥٨٢، ونزهة المشتاق ٥٢١.

(٣٧) في معجم البلدان «حجاره»، وفي آثار البلاد: «وبها حجر الدم». وانظر حول حجر الدم: المعتمد ٨٩، ٢٥٥.

وأقلامهم سود.

فسرنا فيهم عشرين يوماً في خوف شديد.

ثم انتهينا إلى قبيلة يقال لها: **الخِرْخِيز**[٣٨] يأكلون الدخن، والأرز، ولحوم البقر والمعز والضأن، وسائر اللحوم، إلّا الجمال.

ولهم بيوت عبادة، وقلم يكتبون به.

ولهم رأي ونظر.

ولا يطفؤون سراجهم حتى تطفأ موادّها.

ولهم كلام موزون يتكلمون به في أوقات صلاتهم.

وعندهم مسك قليل.

ولهم ثلاثة أعياد في السنة، وأعلامهم خضر.

ويصلّون إلى الجنوب، ويعظمون زحل والزهرة، ويتطيرون من المرّيخ.

ويسجدون للطفل إذا ولد، ويخدمون الحوامل حتى يلدن[٣٩]، ويلبسون كل اللباس.

---

(٣٨) في الأصل: «الخرخين» وهو وهم من الناسخ. وانظر: معجم البلدان ٤٤٢/٣، وآثار البلاد ٥٨٣، ونزهة المشتاق ٥١٣ ـ ٥٢٠. وهي بلاد قزعيزيا اليوم.

(٣٩) في الأصل: «يلدون».

ولهم تجارات، وقياس للفصول والأزمان.

والسباع في بلدهم كثير، ولهم حجارة تسرج بالليل، يستغنون بها عن المصابيح، ولا تعمل في غير بلدهم.

ولهم ملك عالم، إنما يضطرون إليه، مطاع فيهم، لا يجلس بين يديه أحد منهم، إلّا إذا جاوز أربعين سنة.

//٣٥٢ // فسرنا بينهم شهراً في أمن ودعة.

ثم انتهينا إلى قبيلة يقال لها: **الخرلخ**(٤٠)، يأكلون الحمص والعدس، ويعملون الشراب من الدخن، ولا يأكلون اللحم معنفة بالملح(٤١).

ويلبسون الصوف.

ولهم بيت عبادة، في حيطانه صور لمتقدمي ملوكهم، والبيت من خشب لا تأكله النار. وهذا الخشب كثير في بلادهم.

والبغي والجور بينهم ظاهر، ويغير بعضهم على بعض.

---

(٤٠) معجم البلدان ٣/٤٤٣، وآثار البلاد ٥٨٤، ونزهة المشتاق ٧١٤، ٧١٨ - ٧١٩. وهم القراخانيون لاحقاً.

(٤١) كذا في الأصل؛ وفي معجم البلدان: «ولا يأكلون اللحم إلّا مغموساً بالملح»، وفي آثار البلاد: «ولا يأكلون اللحم إلّا مغمساً بالملح». واعتنف الطعام، بمعنى عافه وكرهه.

والزنا بينهم ظاهر غير محظور.

وهم أصحاب قمار، يقامر الواحد صاحبه في امرأته وابنته وابنة أمّه. فما دام في مجلس القمار، فللمقمور أن يفادي ويفك، فإذا انصرف القامر، فقد حصل له ما قمر، يبيعه من التجار كما يريد.

والجمال في نسائهم ظاهر، وكذلك الفساد. وهم قليلو الغيرة، تجيء المرأة الرئيس فمن دون، أو ابنته أو أخته، إلى القوافل إذا وافت البلد، فتعترض الوجوه، فإذا أعجبها إنسان أخذته إلى منزله وأنزلته عندها وأحسنت إليه، وتُصَرِّف زوجها وولدها وأخاها[٤٢] في حوائجه، ولم يقربها زوجها، ما دام من تريد نازل عندها، إلاّ لحاجة يقضيها، ثم ينصرف، وهي ومن تختاره في أكل وشرب، وذلك، يعني زوجها[٤٣]، لا يغيره ولا ينكره.

ولهم عيد يلبسون فيه الديباج. ومن لم يمكنه لبسه رقع ثوبه برقعة منه.

ولهم معدن فضة، يستخرج بالزئبق.

---

(٤٢) في الأصل: «وأخوها».

(٤٣) في معجم البلدان: «وغير ذلك بعين زوجها»، وما ورد هنا صحيح.

وعندهم شجر يقوم مقام الهليلج[٤٤]، قائم الساق، إذا طُلي عصارته [على] الأورام الحارّة أبرأها لوقته.

ولهم حجر عظيم يعظمونه ويحكمون عنده، ويذبحون له الذبائح. والحجر أخضر سِلْقي.

فسرنا بينهم خمسةً وعشرين يوماً في أمن.

وانتهينا إلى قبيلة يقال لها: **الخطلخ**[٤٥]، فسرنا بين أهلها عشرة أيام.

وهم يأكلون البر فقط، ويأكلون سائر اللحوم غير مذكاة.

ولم أر في جميع قبائل الترك أشد شوكة منهم؛ يتخطفون من حولهم، ويأمنهم من تشابكهم[٤٦].

يتزوجون الأخوات. ولا يتزوج المرأة أكثر من زوج واحد، فإذا مات لم تتزوج بعده.

ولهم رأي وتدبير. ومن زنى في بلدهم أحرق هو والتي يزني // بها. وليس لهم طلاق. والمهر جميع ملك الرجل. //٣٥٣

وخدمة الولي سنة.

---

(٤٤) في معجم البلدان: «الإهليلج»، وهما واحد وانظر حوله: المعتمد في الأدوية.

(٤٥) معجم البلدان ٣/٤٤٣، وآثار البلاد ٥٨٥.

(٤٦) كذا في الأصل؛ والعبارة ليست في معجم البلدان وآثار البلاد.

والقتل بينهم بقصاص. والجرح غرم[٤٧]، فإن تلف المجروح بعد أن يأخذ الغرم، بطل دمه.

وملكهم ينكر الشرّ ولا يتزوج، فإن تزوج قتل.

ثم انتهينا إلى قبيلة يقال لهم: **الخيتان**[٤٨]، يأكلون الشعير والجلبان، ولا يأكلون اللحم إلاّ مذكى؛ ويتزوجون زواجاً صحيحاً، وأحكامهم أحكام عقلية، يقوم بها [أهل] السنة[٤٩]. وليس لهم ملك، وكل عشرة منهم يرجعون إلى شيخ فيهم له عقل ورأي فيتحاكمون إليه، ويقبلون قوله.

وليس عندهم أذى لمن يجتاز بهم، ولا اغتيال.

ولهم بيت عبادة يعتكفون فيه الشهر والأقل والأكثر.

ولا يلبسون شيئاً مصبوغاً.

وعندهم مسك جيد ما دام في بلدهم، فإذا حمل من عندهم تغيرّ واستحال.

---

(٤٧) كذا في الأصل؛ وفي معجم البلدان: «وللقتل بينهم قصاص، وللجراح غرم»؛ وفي آثار البلاد: «والقصاص عندهم مشروع، والجروح مضمونة بالارش».

(٤٨) كذا في الأصل؛ وفي معجم البلدان ٣: ٤٤٣ وآثار البلاد ٥٨٣: «الختيان» بتقديم التاء وتأخير الياء.

(٤٩) الاستدراك يقتضيه السياق؛ وفي معجم البلدان: «تقوم بها السياسة»، والعبارة لم ترد في آثار البلاد.

ولهم بقول كثيرة في أكثرها منافع.

وعندهم حيّات تقتل من ينظر إليها، إلّا أنها في جبل[٥٠] لا تخرج عنه بوجه ولا سبب.

ولهم حجارة تسكن الحمّى، ولا تعمل في غير بلدهم.

وعندهم باذزهر جيد، شمعي، فيه عروق خضر.

وكان مسيرنا فيهم عشرون يوماً.

ثم انتهينا إلى بلد يقال له بلد **بهى**[٥١]، فيه نخيل كثيرة، وبقول كثيرة، وأعناب واسعة.

ولهم مدينة، وقرى، وسياسة، وبدو وحضر، وملك يلقب بهى[٥٢].

في مدينتهم قوم مسلمون، ويهود، ونصارى، ومجوس، وهند، وعبدة أصنام. ولهم أعياد.

وعندهم حجارة خضر تنفع[٥٣] من الرمد، وحجارة

---

(٥٠) في الأصل: «أجبل».

(٥١) في معجم البلدان ٣/٤٤٣ «بهيّ»، وفي آثار البلاد ٥٨٩؛ «بلدة بهى». ويصرّح القزويني بالنقل عن مسعر.

(٥٢) في معجم البلدان: «وملك له سياسة» وسقطت عبارة «وبدو وحضر».

(٥٣) في الأصل: «تنتفع».

حمرة تنفع في وجع الطحال. وعندهم النيل الجيد، القاني، الطافي، المرتفع، الذي إذا طرح على الماء لم يرسب.

فسرنا فيهم أربعين يوماً في أمن وخوف.

وانتهينا إلى موضع يقال له: **القليب**[٥٤]، في بوادي عرب ممن تخلّف عن تُبعّ، لما غزا بلد الصين[٥٥].

لهم مصايف ومشاتي، ونخال كثيرة في رمال ومياه مختلفة.

يتكلمون بالعربية القديمة، لا يعرفون غيرها؛ ويكتبون بالحِمْيَرِيّة، ولا يعرفون قلمنا. يعبدون الأصنام.

وملكهم من أهل بيت منهم، لا يخرجون الملك عن أهل ذلك البيت؛ ولهم أحكام وحظر // للزنا والفسق. //٣٥٤

ولهم شراب جيد من التمر.

وملكهم يهادي ملك الصين.

فسرنا فيهم شهراً في خوفة وتغرير[٥٦].

ثم انتهينا إلى **مقام الباب** [٥٧]، وهو بلد من الرمل[٥٨]، يكون في حجبة ملك الصين. ومنه يُستأذن لمن

---

(٥٤) معجم البلدان ٣/٤٤٣، وآثار البلاد ٦٠٦.

(٥٥) هذه المعلومة لا تزال إلى اليوم أقرب إلى الأسطورة.

(٥٦) في معجم البلدان: «في خوفٍ».

(٥٧) معجم البلدان ٣/٤٤٤.

(٥٨) في معجم البلدان «في الرمل».

يرد ببلد الصين[٥٩] من قبائل الترك وغيرهم.

فسرنا فيه ثلاثة أيام في ضيافة الملك، يغيّر لنا عند كل رأس فرسخ مركوب.

ثم انتهينا إلى **وادي المقام**[٦٠]، فاستؤذن لنا منه، وتقدمتنا الرسل[٦١]، فأذن لنا، بعد أن أقمنا بهذا الوادي، وهو أنزه بلد الله وأحسنه، ثلاثة أيام في ضيافة الملك.

ثم عبرنا الوادي، وسرنا يوماً تاماً، وأشرفنا على مدينة **سندابل**[٦٢].

وهي قصبة الصين، وبها دار المملكة، فبتنا على مرحلة منها، ثم سرنا من الغد طول نهارها حتى وصلنا إليها عند المغرب.

وهي مدينة عظيمة، تكون مسيرة يوم، ولها ستون شارعاً، كل شارع منها إلى دار الملك، ثم إلى باب من أبوابها.

وارتفاع سورها تسعون ذراعاً، وعرضه تسعون ذراعاً. وعلى رأس السور نهر عظيم يتفرق على ستين جزءاً، كل جزء منها ينزل على باب من الأبواب، تتلقاه رحىً تصب إلى

(٥٩) في معجم البلدان: «لمن يريد دخول بلد الصين».

(٦٠) معجم البلدان ٣/٤٤٤.

(٦١) في معجم البلدان: «وتقدمنا».

(٦٢) معجم البلدان ٣/٤٤٤، وآثار البلاد ٤٥.

ما دونها ثم إلى غيرها، ثم يصير إلى الأرض، ثم يخرج نصفه تحت السور، فيسقي البساتين، ويرجع نصفه إلى المدينة، فيسقي أهل ذلك الشارع إلى دار الملك، ثم يخرج في الشارع. والآخر إلى خارج البلد. فكل شارع فيه نهران. وكل خلاء فيها مجريان كل يخالف صاحبه. فالداخل يسقيهم، والخارج يخرج فضولاتهم(٦٣).

ولهم بيت عبادة عظيم، يقال: إنه أكبر من مسجد [بيت] المقدس(٦٤). وفيه تماثيل وصور وأصنام. وبده عظيم(٦٥).

ولهم سياسة عجيبة وأحكام متقنة(٦٦). ولا يذبحون ولا يأكلون اللحوم أصلاً. ومن قتل منهم شيئاً من الحيوان قتل.

وهي دار مملكة الهند والترك معاً.

ودخلت على ملكها فوجدته فائقاً في فنه(٦٧)، كاملاً في رأيه؛ فخاطبه الرسل فيما جاؤوا له تزويجه ابنته من نوح بن نصر(٦٨)، // فأجاب إلى ذلك وأحسن إليّ وإلى //٣٥٥

(٦٣) في معجم البلدان: «بفضلاتهم».
(٦٤) في الأصل: «مسجد المقدس»، والاستدراك من معجم البلدان.
(٦٥) في الأصل: «وبد عظيم». والبد: تمثال بوذا.
(٦٦) العبارة ساقطة من معجم البلدان.
(٦٧) في الأصل: نائماً في قبة.
(٦٨) نوح بن نصر الساماني: تولى الملك في ٣٣١هـ/٩٤٣ وتوفي ٩٥٤/٣٤٣ (النرشخي، تاريخ بخارى ١٣٠).

الرسل. وأقمنا في ضيافته حتى نجزت أمور المرأة، وتمّ ما جهزها به، ثم سلّمها إلى مايتي خادم وثلاثماية جارية من خواص خدمه وجواريه؛ وحملت إلى خراسان، إلى نوح بن نصر، وأولدها عبد الملك. ومات نصر بن أحمد قبل موافاتها، وصارت المملكة إلى نوح بن نصر، فتبرك بها.

وبلغنا أن نصراً(٦٩) عمل قبره قبل وفاته بعشر سنين، وذلك أنه أخذ له في مولده مبلغ عمره ووقت انقضاء أجله، وأن موته يكون بالسلّ، وعرف اليوم الذي يموت فيه، فخرج يوم موته إلى بخارى، وقد أعلم الناس أنه ميت يومه ذلك، وأمرهم أن يتجهزوا له بجهاز التعزية والمصيبة ليتصورهم بعد موته بالحال التي يراهم بها، فسار بين يديه ألوف من الغلمان الأتراك المرد، وقد ظاهروا اللباس السواد، وشقوا عن صدورهم، وجعلوا التراب على رؤوسهم، ثم تبعهم نحو ألفا جارية من أصناف الرقيق مختلفي الأجناس واللغات على تلك الهيئة؛ ثم جاء على آثارهم عامة الجيش والأولياء يجنبون دوابهم ويفردون قودهم، وقد خالفوا في نصب السروج عليها، وسودوا نواصيها وجباهها، حاثين التراب في رؤوسهم؛ واتصل بهم الرعيّة والتجار في غم وحزن وبكاء وضجيج، يتقدمهم أولادهم ونساؤهم؛ ثم اتصل بهم

(٦٩) في الأصل: «نصر».

الشاكرية[٧٠] والمكارون والحمالون، كل فريق منهم قد غيّر زيه وشهر نفسه بضرب من اللباس، ثم جاء أولاده، يمشون بين يديه حفاة حاسرين، والتراب في رؤوسهم، وبين أيديهم وجوه الكتاب، وجلّة خدمه ورؤساء قواده؛ ثم أقبل والقضاة والمعدلون والفقهاء والعلماء يسايرونه في غم وكآبة وأحضر سجلاً ملفوفاً، فأمر القضاة والمعدلين والفقهاء، والكتّاب ومن يجري مجراهم بختمةٍ، وأمر نوحاً ابنه أن يعمل بما فيه بعده، واستدعى لها[٧١] شيئاً من حساء في زبدية من الصيني الأصفر، فتناول منه شيئاً يسيراً، ثم تغرغرت عيناه، وحمد الله تعالى، وتشهّد، ثم قال: هذا آخر زاد يغر من دنياكم، // وسار إلى قبره، ودخله، وقرأ عشراً فيه، وخرج عنه، ٣٥٦// واستقر به. ومات رحمه الله تعالى. وتولى الأمر نوح ابنه.

نحن نشك[٧٢] في صحة هذا الخبر، لأن محدّثنا كان ربما ذكر شيئاً، نسأل الله تعالى أن لا يؤاخذنا بها[٧٣].

قال: وأقمت بسندابل مدينة الصين مدة، ألقى ملكها في الأحايين، فيفاوضني شيئاً، ويسألني عن أمور من أمور بلد الإسلام.

---

(٧٠) الشاكري: فارسي معرب. ومعناه الخادم والمرافق، ونعتقد أن الشاكرية مسلحون غالباً.

(٧١) كذا؛ وهي ليست في معجم البلدان.

(٧٢) في الأصل: «نسألك»، وضبطه من معجم البلدان.

(٧٣) في معجم البلدان: «يؤاخذه بها».

ثم استأذنت في الانصراف، فأذن لي بعد أن أحسن إليّ، ولم يبق غاية في أمري، فخرجت على الساحل أريد كله[٧٤].

وهي أول مدينة الهند، ومنتهى مسير المراكب. لا يتهيأ لها تجاوزها، وإلاّ غرقت، فلما وصلت إليها، رأيتها عظيمة، منيعة عالية السور، كثيرة البساتين، غزيرة الماء. ووجدت بها معدناً للرصاص القلعي، لا يكون إلاّ في قلعتها في سائر الدنيا. وفي هذه القلعة تضرب السيوف المعروفة بالقلعية، وهي الهندية العتيقة، وأهل هذه القلعة يمتنعون على ملكهم إذا أرادوا ويطيعونه إذا أحبّوا، ورسمهم رسم الصين في ترك الذباحة، وليس في جميع أقاليم الأرض معدن للرصاص القلعي إلاّ في هذه القلعة. وبينها وبين مدينة الصين ثلاثمائة فرسخ، وحولها مدن ورساتيق، وفيها[٧٥] لهم أحكام وحبوس وجنايات.

وأكلهم البُسْر[٧٦] والتمور، وبقولهم كلها تباع وزناً، وأرغفة خبزهم تباع عدداً. ولا حمّامات لهم، بل عندهم أعين حارة[٧٧] يغتسلون فيها.

---

(٧٤) معجم البلدان ٣/٤٤٥، وآثار البلاد ٥٩، وفي ١٠٥ عن مسهر وهي اليوم على ساحل الملايو الجنوبي.

(٧٥) في الأصل: «وفهى»، واللفظ غير موجود في معجم البلدان.

(٧٦) في معجم البلدان: «البرّ».

(٧٧) في معجم البلدان: «جارية».

ودرهمهم يزن ثلثي درهمنا، ويعرف بالفهري[٧٨].
ولهم فلوس يتعاملون بها.

ويلبسون كأهل الصين[٧٩]، الإفرند الصيني المثمّن.

وملكها دون ملك الصين، ويخطب لملك الصين، وقبلته إليه، وبيته بيت عبادة له.

وخرجت منها إلى بلد يقال له **بلد الفلفل**[٨٠].
فشاهدت نباته، وهو شجر عادي لا يزول الماء من تحته، فإذا هبت الريح تساقط حمله، فلذلك تشنجه[٨١]. وإنما يجمع من فوق الماء، وعليه ضريبة للملك، وهو شجر حرّ لا مالك له، وحمله // أبداً فيه لا يزول بشتاء ولا صيف، وهو ٣٥٧// عناقيد، فإذا حميت الشمس زالت تلك الأوراق عن العنقود.

وانتهيت فيه إلى لحف الكافور[٨٢]، وهو لحف جبل عظيم، فيه مدن تشرف على البحر، منها قامرون التي ينسب إليها العود الرطب المعروف بالمندل القاميروني. وفيه مدينة يقال لها قماريان وإليها ينسب العود القماري.

---

(٧٨) في معجم البلدان: «بالقاهري»، وكذلك في رحلة ابن بطوطة.
(٧٩) في الأصل: «ويلبسون وأهل الصين»، وضبطها من معجم البلدان.
(٨٠) معجم البلدان ٣/٤٥، وآثار البلاد ١٢٣ «مليبار».
(٨١) في معجم البلدان: «فمن ذلك تشنجه»، وفي آثار البلاد: «وكذلك تشنجها».
(٨٢) معجم البلدان ٣/٤٤٥، وآثار البلاد ١٠٥ «قمار». وقاميرون هي آسام اليوم، مقاطعة في الهند.

وفيه مدينة يقال لها الصنف[٨٣]، ينسب إليها العود الصنفي، لأهلها حظ من الجمال. وذلك أنهم متولدون من الترك والصين، فجمالهم كذلك؛ وإليها تخرج تجارات الترك، وإليها ينسب المسك الصيموري. وليس هو منها، وإنما يجهز إليها[٨٤].

ولهم بيت عبادة على رأس عقبة عظيمة، عليه سد، وفيه أصنامهم من الفيروزج، والبجادي، ولهم ملوك صغار، ولباسهم لباس أهل الصين. ولهم بيع وكنايس ومساجد وبيوت نار، ولا يذبحون، ولا يأكلون السمك ولا البيض. وفيهم ضرب يأكلون النطيحة والمتردية، ولا يأكلون ما مات حتف أنفه[٨٥].

وخرجنا إلى مدينة يقال لها **جاجُلي**[٨٦]، على رأس جبل يشرف نصفها على البحر، ويشرف نصفها على البرّ. ولها ملك مثل ملك كله، ويأكلون البيض، ولا يأكلون السمك ولا يذبحون. ولهم بيت عبادة كبير معظّم، لم يمتنع

---

(٨٣) معجم البلدان ٣/٤٤٥، وآثار البلاد ٩٧؛ ولعلها كمبوديا اليوم.

(٨٤) معجم البلدان ٣/٤٤٥، وآثار البلاد ١٠٧.

(٨٥) نقل القزويني عن مسهر بالإشارة إليه وأضاف بأنه هو: «صاحب عجائب البلدان وأنه كان سيّاحاً دار البلاد وأخبر بعجائبها».

(٨٦) معجم البلدان ٣/٤٤٥، وآثار البلاد ٨٠ ـ ٨١، وينقل عن مسعر.

على الإسكنــدر في بلدان الهنـد غيــره. وإليهــا يحمــل الدارصيني. ومنها يحمل ويجهز إلى سائر الآفـاق، وشجر الدارصيني حُرٌّ لا مالك له[٨٧].

ولباسهم لباس أهل كله، إلاّ أنهم يتزينون في أعيادهم بالحبر اليمانية[٨٨]، ويعظمون من النجوم قلب الأسد.

ولهم بيت رصد، وحساب، محكم ومعرفة بـالنجوم كاملة، وتعمل الأوهام في طباعهم.

وخرجت منها إلى // مدينة يقال لها **قشمير**[٨٩]، كبيرة | //٣٥٨ عظيمة، لها سور وخندق محكمان يكون مثل نصف سندابل مدينة الصين، وملكها أكبر من ملك كله. وأتم طاعة. ولهم أعياد في رؤوس الأهلة، وفي نزول النيرين شرفهما. ولهم رصـد كبير في بيت معمـولة[٩٠] من الحـديد الصيني، لا يعمل فيه الزمان. ويعظمون الثريا.

وأكلهم البر، ويأكلون المالح من السمك، ولا يأكلون البيض ولا يذبحون.

وسرت منها إلى **كابل**[٩١]، فسرت شهراً حتى وصلت

---

(٨٧) الدارصيني: القرفة.

(٨٨) الحبر اليمانية: البُرُد اليمانية، مشهورة بها.

(٨٩) معجم البلدان ٣/٤٤٦، وآثار البلاد ١٠٤، عن مسهر.

(٩٠) كذا: وصوابه: «معمول».

(٩١) معجم البلدان ٣/٤٤٦، وآثار البلاد ٢٤٣.

إلى قصبتها المعروفة بطابان[٩٢]، وهي مدينة في جوف جبل، قد استدار عليها كالحلقة، دون ثلاثين فرسخاً، لا يقدر أحد على دخوله إلّا بجواز، لأن له مضيق قد غلق عليه باب حديد، ووكل به قوم يحفظونه، فما يدخله أحد إلّا بإذنه.

والهليلج كثير جداً في هذه المدينة. وجميع مياه القرى والرساتيق التي داخل الجبل، تخرج من المدينة، وهم يخالفون ملك الصين في الذباحة، ويأكلون السمك والبيض، ويولمون الحيوان، ويقتل بعضهم بعضاً. ولهم بيت عبادة.

وخرجت من كابل إلى سواحل الهند متياسراً، فصرت إلى بلد يعرف **بمندوريقين**[٩٣]، غياضه القنا وشجره الصندل، ومنه يحمل الطباشير. وذلك أن القنا إذا جف وهبت به الرياح، احتك بعضه ببعض، واشتدت فيه الحرارة للحركة، فانقدحت منه نار[٩٤]، فربما أحرقت مسافة خمسين فرسخاً، أو أكثر من ذلك، فهو الطباشير، الذي يحمل إلى سائر الدنيا من حريق ذلك القنا. فأما الطباشير الجيد الذي يساوي مثقاله مائة مثقال أو أكثر، فهو شيء يخرج من جوف القنا إذا

(٩٢) معجم البلدان ٣/٤٤٦.
(٩٣) معجم البلدان ٣/٤٤٦، وآثار البلاد ١٢٤، ويصرّح بالنقل عن مسعر؛ ووردت في الأصل «مندوقين».
(٩٤) في الأصل: «نار».

هزت، وهو عزيز جداً، وما نفخر من صفات الطباشير حمل إلى سائر البلدان وبيع على أنه التوتياء الهندي، وليس كذلك، لأن التوتياء الهندي دخان الرصاص القلعي. ومقدار ما يرتفع في كل سنة ثلاثة أمناء أو أربعة أو خمسة لا يجاوز ذلك. ويباع المن بخمسة آلاف درهم إلى // ألف //٣٥٩ دينار[٩٥].

وخرجت منها إلى مدينة يقال لها **الكولم**[٩٦]، لأهلها بيت عبادة، وليس فيه صنم ولا تمثال.

وبها نبات الساج، وهي شجرة مفرطة[٩٧] العظم والطول، وربما جاز المائة ذراع وأكثر. والخيزران بها كثير جداً، وكذلك القنا، وبها شيء من السندروسُ قليل غير جيد، والجيد منه ما بالصين. وهي تقع على باب مدينتها الشرقي. والسندروس زبد الكباريت، وأجلها هو مغناطيس يجذب كل شيء إذا أحمي بالدلك. وعندهم الحجارة التي تعرف بالسندانية، يعمل بها السيوف.

وأساطين بيوتهم من خرز أصلاب السمك الميت، ولا يأكلونه، ولا يذبحون، وأكثرهم يأكل الميتة. وأهلها

(٩٥) والمن: يساوي $\frac{1}{2}$ ٧ مكوك، أو ٣٠٧٥٠ ليتراً تقريباً.

(٩٦) معجم البلدان ٣/٤٤٦، وآثار البلاد ١٠٦، وفيه يصرّح القزويني بالنقل عن مسهر.

(٩٧) في الأصل: «مفرط».

يختارون للصين[٩٨] ملكاً إذا مات ملكهم، وليس بالهند طين[٩٩] إلّا في هذه المدينة، وبها يعمل غضائر يباع في بلداننا على أنه صيني، وليس هو صيني، لأن طين الصين أصلب منه وأصبر على النار. وطين هذه المدينة الذي يعمل منه الغضار المشبّه بالصيني يخمر ثلاثة أيام، لا يحتمل أكثر منها، وطين الصين يخمر عشرة أيام ويحتمل أكثر منها. وخزف غضائرها أدكن اللون[١٠٠]. وما كان من الصين وغيره من الألوان شفافاً وغير شفاف، فهو معمول في بلد فارس بالجص وكلس القلعي والأسرب، والزجاج يعمل على البوائن، وينفخ ويعمل بالماسك كما ينفخ الزجاج، مثل الجامات وغيرها من الأواني.

ومن هذه المدينة يُركب إلى عُمان. وبها راوند ضعيف العمل، والصيني أجود منه. والراوند قرع يكون هناك، وورقه الشاذج[١٠١] الهندي؛ وإليها تنصب أصناف العود والكافور واللبان والقشار. وأصل العود ينبت في جزائر وراء خط الاستواء وما وصل إلى مِنابتها أحد، ولا يعلم أحد كيف نباتها وكيف شجرها ولا يصف إنسان شكل ورق شجر العود، وإنما

(٩٨) كذا؛ وفي آثار البلاد: «وأهلها يختارون ملكاً من الصين».

(٩٩) في معجم البلدان: «طبيب».

(١٠٠) في الأصل: «أدكن الدهن».

(١٠١) كذا؛ وفي معجم البلدان: «السادج».

يأتي به الماء إلى جانب الشمال، فما انقلع وجاء إلى الساحل رطباً، فأخذ بكله أو بقامرون أو في بلدان الفلفل، وبالصنف أو بقماريان، // أو بغيرهما من السواحل، بقي إذا أصابته //٣٦٠ الريح الشمال، رطباً أبداً لا يحول عن طبعه، وهو المعروف بالقامروني المندلي. وما جف في البحر ورمي يابساً فهو الهندي المصمت الثقيل، ومحنته أن ينال منه بالمبرد على الماء، فإذا طفت البرادة ولم ترسب فليس بهندي، وإن رسبت فهو الهندي الذي ما بعده غاية(١٠٢) وما [جف] في مواضعه ونخر في البحر فهو القماري، وما نخر في موضعه وحمله البحر نخراً فهو الصنفي.

وملوك هذه المراقي يأخذون ممن يجمع العود من السواحل ومن البحر، العشر.

فأما الكافور فهو في لحف جبل بين هذه المدينة وبين مندوريقين مطل على البحر، وهو لبُّ شجر يشق فيوجد الكافور كامناً فيه، فربما وجد مائعاً وربما جامداً، لأنه صمغ، فيكون في لب هذا الشجر.

وبها شيء من الهليلج قليل، والكابلي أجود منه، لأن كابل بعيدة من البحر. وجميع أصناف الهليلج واحدة، وسائر شجرة واحدة، فما نثرته الريح فجاً غير نضيج فهو الأصغر،

---

(١٠٢) في الأصل: «ما بعد غاية».

وهو حامض بارد؛ وما بلغ وقطف في أوان إدراكه، فهو الكابلي. وهو حلو حار، وما ترك في شجره إلى أيام الشتاء حتى يسود، فهو الأسود، وهو حار.

وبها معدن كبريت أصفر، ومعدن نحاس يخرج من دخانه توتياء جيد، وجميع أصناف التوتياء كلها من دخان النحاس، إلّا الهنديّ، فإنه كما ذكرنا، من دخان الرصاص القلعي.

وماء هذه المدينة وماء مندوريقين من الصهاريج المخزون فيها مياه الأمطار. ولا زرع فيها إلّا القرع الذي فيه الرواند، فإنه يزرع بين الشوك. وكذلك أيضاً بطيخهم، وهو قليل جداً.

وبها قنبيل يقع من السماء ويجمع بأخثاء البقر، والعربي أجود منه.

وخرجت من مدن السواحل إلى **المولتان**(١٠٣)، وهي آخر مدينة بالهند، مما يلي الصين، وأولها مما يلينا ويلي أرض السند.

وهي مدينة عظيمة، جليلة القدر عند أهل الهند والصين، لأنها بيت حجهم، ودار عبادتهم، كمكة لنا، //٣٦١// وبيت المقدس لليهود والنصارى.

(١٠٣) معجم البلدان ٣/٤٤٧، وآثار البلاد ١٢١.

وبها القبة العظمى والصنم الأكبر، وهذه سمكها في السماء ثلاثماية ذراع، وطول الصنم في جوفها ماية ذراع، وبين رأسه ورأس القبة ماية ذراع، وبين رجليه وبين الأرض مائة ذراع، معلق في جوها لا بقائمة من أسفله يدغم عليها، لا بعلاقة من أعلاه تمسكه.

هذا فما نظن أن أبا دلف قد ذكره منه ما لا حقيقة له[١٠٤]، لأن هذا الصنم قد ذكره المدائني في فتوح السند والهند، وذكر أن طوله عشرون ذراعاً، لا غير ذلك.

قال أبو دلف: والبلد في يد يحيى بن محمد الأموي[١٠٥]، وهو صاحب المنصورة أيضاً، والسند كله في يده. والدولة بالمولتان للمسلمين، وملاك عقرها ولد عمر بن علي بن أبي طالب[١٠٦]، رضي الله عنه. والمسجد

---

(١٠٤) هذا الشك من الناسخ. أما ياقوت فقد نقل هذ الشك بالصيغة التالية: «قلت: هذا هو الكذب الصراح، لأن هذا الصنم. . . .».

(١٠٥) يحيى بن محمد الأموي، يؤكد هذا الخبر بزرك بن شهريار الذي نقل خبراً عن الهند أنه في سنة ٢٧٠هـ كان في صاحب المنصورة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (عجايب الهند، ٨٦).

(١٠٦) عمر بن علي بن أبي طالب، وهو شقيق رقية الكبرى لأم واحدة تغلبية (التبيين في أنساب القرشيين ١٣٧) وقال ابن عتبة الحسني: إن جعفر الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي، وكان قد خاف بالحجاز، هرب في ثلاثة عشر رجلاً من =

الجامع مصاقب لهذه القبة، والإسلام بها ظاهر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها شامل.

وخرجت منها إلى **المنصورة**[107]، وهي قصبة السند، والخليفة الأموي مقيم بها يخطب لنفسه، ويقيم الحدود، ويملك السند كله، برّه وبحره.

ومنها إلى البحر خمسون فرسخاً.

وساحلها مدينة **الديبل**[108] **وكنبايا**[109]، ويعمل بها الكنباني[110].

= صلبه، فما استقرت به الدار حتى دخل المولتان، فلما وصلها فزع إليه أهلها وكثير من أهل السواد، وكان في جماعة قوي بهم على البلد حتى ملكه، وخوطب بالملك، وملك أولاده هناك. ومنهم ملوك وأمراء وعلماء ونسابون، وأكثرهم على رأي الإسماعيلية، ولسانهم هندي، وهم يحفظون أنسابهم (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص٤٠٥ ـ ٤٠٦).

(١٠٧) معجم البلدان ٣/٤٤٧، وآثار البلاد ١٢٤ ـ ١٢٥.

(١٠٨) الديبل: معجم البلدان ٣/٤٤٧. والمدن بعدها لم ترد في معجم البلدان، في نص الرسالة، لكن ذكر بعضها قبلاً. انظر ٣/٤٤٠.

(١٠٩) كنبايا، أو كنباية، وتكتب أيضاً بالتاء المفتوحة، من كبريات مدن الهند (تقويم البلدان ٣٥٦، والإدريسي ١٨١، وأخبار الدول ٣/٤٤٩).

(١١٠) الكنباني، كذا في الأصل وفي المصادر: الكنباتية وهي نعال ثخينة (الظرف والظرفاء، بعناية فهمي سعد، ص٢٤٣)، وقال =

ومـدن سـاحلهـا: **هـابـان**[111]، **وبلهـرا**[112]، **وقـنـوج**[113]، **وسـنـدان**[114]، **وصـومـارا**[115]. **وأركماري**[116].

= المقدسي بأنها من صادرات المنصورة (أحسن التقاسيم ٤٨١) ويبدو من محاورة حادة بين الرشيد العباسي ووزيره جعفر البرمكي أنها كانت ناعمة سهلة الاحتذاء (الفرج بعد الشدة، بعناية الشالجي ٣/٣٠٥).

(١١١) هابان، كذا وردت، ولم اهتد إليها.

(١١٢) بلهرا، ذكرها ياقوت (بلهرة)، معجم البلدان ٣/٤٤٠ وذكر الرحالة التاجر سليمان أن بلهرا اسم الملك، وهو اسم لكل ملك منهم (من رحلات العرب، رحلة التاجر سليمان، ص٢٧).

(١١٣) قنوج، من أكابر مدن الهند (معجم البلدان ٤/٤٠٩، ونزهة المشتاق ١٩٤).

(١١٤) سندان، قال ياقوت: سندان مدينة في ملاصقة السند، بينها وبين الديبل والمنصورة نحو عشرة مراحل، وتبعد عن البحر نصف فرسخ، وبينها وبين صيمور نحو خمس عشرة مرحلة (معجم البلدان، ٣/٢٦٧).

(١١٥) صومارا، كذا في الأصل؛ وقال ياقوت: صيمون، وربما قيل صيمور، بلد من بلاد الهند الملاصقة للسند،قرب الديبل، وهو عمل من أعمال بلهرا، إلا أن صيمور وكنباية من بلاد فيها مسلمون (معجم البلدان ٣/٤٤٠).

(١١٦) اركماري، كذا وردت في الأصل؛ وذكر ياقوت مدينة مانكير (معجم البلدان ٣/٤٤٠).

وخرجت من المنصورة إلى يغانين[١١٧]، وهو بلد واسع، يؤدي أهلها الخراج إلى الأموي، وإلى صاحب بيت الذهب، وهو بيت من ذهب في صحراء، يكون أربع فراسخ، لا يقع عليه الثلج، ويثلج ما حولها. وفي هذا البيت ترصد الكواكب، وهو بيت معظم فيه الهند والمجوس، وهذه الصحراء تعرف بصحراء زردشت، صاحب المجوس. ويقول أهل ذلك البلد: إن هذه الصحراء متى خرج منها إنسان يطلب دولة، لم يغلب ولم يهزم له عسكر، حيثما توجه.

ومنها إلى شهرداور[١١٨]، ومنها إلى [ ][١١٩]

ومنها إلى غزنين متفرق الطرق. فطريق يعطف يمنة إلى باميان وجيلان // وخراسان؛ وطريق يأخذ تلقاء القبلة إلى بست ثم سجستان. //٣٦٢

وكان صاحب سجستان في وقت موافاتي إياها، أبو جعفر محمد بن أحمد بن الليث، وأمه بانويه أخت يعقوب بن الليث. وهو رجل فيلسوف حكيم، سمح، كريم، له في كل بلد طراز يعمل فيه ثياب وآلة، ويخلع في كل يوم

---

(١١٧) يغانين: معجم البلدان ٤٤٧/٣ (بغنين)، وفي آثار البلاد ٩٤ (السند)، وفيها ينقل عن مسعر؛ وعنه يقول: «ومشيت إلى باب الذهب، وهو بيت من ذهب في صحراء....».

(١١٨) شهر دَاوَر: معجم البلدان ٤٤٨/٣.

(١١٩) كذا وردت في الأصل، فراغ بمقدار كلمة واحدة.

خلعة على واحد من زوّاره، تقوم عليه من طرازها بخمسة آلاف درهم، ومعها دابة النوبة، ودلى الحمام والمطرح والمسند ومسورتاه ومخدتاه، يعمل بذلك ثبت ويسلم إلى الزائر فيستوفيه على الخازن.

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبيه وآله الطاهرين.

الفهارس



فهرست الأعلام والأقوام

ثبت بأسماء البلدان

فهرست الألفاظ الحضارية

فهرست المحتويات